

طبعة محدودة

جاسوسة صهيون

جميلة العلايلي

حقوق الطبع والنشر محفوظة



التركة الأدبية لجميلة العلايلي

www.gamilaelalaily.com

لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في نظام استرجاع أو نقله بأي شكل أو بأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو عن طريق التصوير أو التسجيل أو غير ذلك دون إذن خطي مسبق من الناشر


أم كلثوم
جميلة العلايلي

عن جميلة العلايلي

جميلة العلايلي، ولدت في مدينة المنصورة على ضفاف النيل، حيث تشبعت روحها بعذوبة الماء وبهاء الطبيعة، نشأت في كنف عائلة متوسطة الحال، محافظة على التقاليد الأصيلة، إلا أن عقلها كان طليقًا منذ الطفولة، يتساءل ويتأمل، ويرفض القيود التي تفرضها الأعراف على المرأة.

بدأت تراسل مي، فتدور بينهما أحاديث ورسائل مليئة بالمعاني العميقة والأسئلة الإنسانية الكبرى، فتعلقت بها وتبنت روحها الفكرية، وتعلمت منها كيف يكون الأدب نافذة للحرية. كانت مي بمثابة المعلمة والملهمة التي أيقظت فيها شغف الكتابة.

في تلك الفترة، كانت هدى شعراوي، الزعيمة النسائية والمناصرة لقضايا المرأة، قد شقت طريقها كصوتٍ يدعو إلى تحرير المرأة في مصر، وإلى منحها حقوقها في العمل والمشاركة المجتمعية. وجدت جميلة في هدى مثالاً للمرأة المستنيرة المتمردة على القيود.

انضمت جميلة إلى جماعة "أبولو" الأدبية التي أسسها الشاعر أحمد زكي أبو شادي، فكانت من أوائل الشاعرات اللواتي انضممن إلى هذا الصرح الأدبي، الذي مثّل ثورةً في الشعر العربي، جامعًا شعراء الرومانسية ومتبنيّي الحداثة.

كانت جميلة، بفضل روحها المفعمة بالحرية، مؤسسةً للعديد من الجمعيات الثقافية والاجتماعية، فأسست "جامعة أدباء العروبة" بهدف دعم الأدباء الشباب ونشر نتاجهم الأدبي، وأسهمت في إنشاء "مجمع الأدب العربي" الذي أصبح منبرًا للإبداع الأدبي.

وفي ميدان الشعر، أصدرت جميلة ثلاثة دواوين شعرية تميزت كل منها بأسلوب مختلف. ديوانها الأول، "صدى أحلامي"، الذي صدر في عام ١٩٣٦، جاء حاملًا بين طياته مزيجًا من التأملات الرومانسية في الحب والجمال والحياة.

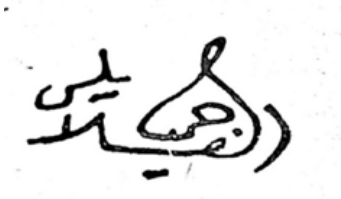
لم تقتصر إسهامات جميلة على الشعر فحسب، بل امتدت إلى الرواية، إذ كتبت عددًا من الروايات التي عبرت من خلالها عن قضايا اجتماعية وروحية. يمكن تصنيف رواياتها حسب الموضوعات التي تناولتها: فقد كتبت عن الروحانية والتصوف، والمرأة والمجتمع، والحب والطبيعة.

وفي مجال التأملات، ألفت جميلة كتبًا من نوع خاص، تمزج فيها بين السرد والروحانية، مثل "أنا وولدي" و"أرواح تتآلف"، حيث تتناول قضايا فلسفية وإنسانية، وتغوص في عمق النفس البشرية بحثًا عن المعاني الخالدة للوجود.

أما عن تأثيرها، فقد مثلت جميلة العلايلي أحد الأصوات الأدبية الرائدة في مصر والوطن العربي، إذ كانت من أوائل النساء اللواتي واجهن المجتمع بأدبهن، وحملت على عاتقها دورًا في تحرير صوت المرأة ودفعه ليصبح مؤثرًا في المشهد الثقافي.

وفي حياتها اللاحقة، اعتزلت جميلة الحياة العامة تدريجيًا، حيث انسحبت من المجتمع وانقطعت عن الحوارات الأدبية، واتجهت نحو التأمل والتصوف، حيث ركزت على الكتابة الروحية التي تهدف للارتقاء بالنفس وإيجاد السلام الداخلي.

في عام ١٩٩١، رحلت جميلة العلايلي عن الحياة، تاركةً وراءها إرثًا أدبيًا وروحانيًا عظيمًا، وما زالت أعمالها شاهدة على تجربة أدبية فريدة لامرأة امتلكت شجاعة الكلمة وصدق الروح، ليبقى صوتها في الأدب العربي خالدًا.



جاسوسة صهيون

جميلة العلايلي

١٩٧٠

إلى الرئيس المفدى محمد أنور السادات

رعاك الله رب العالمينا وأبعد عنك كيد الكائدينا
وصانك من شرور الناس دوما وعشت لمصرنا الحصن الحصينا
فرحنا للوئام وكان حتما وذاك شعارنا من عهد مينا
أعدتم للعروبة مبتغاها وهيأتم لها الفوز المبينا
حزنا للفقيد وكان صعبا علينا علينا كيف لا؟ لكن رضينا
وإنا لا نخاف بعاد بطل له كل المآثر ما حيينا
فإن غاب المعلم أنت كفء وربان تقود لنا السفينا
فماضيك الشفيف يعيش فينا وحاضرك الأبي بدا ضمينا
ووحدتنا غدا ستكون كبرى وتشملنا جميعا ما حيينا
ونسخر من شعوب قد تمادت وظنت في عروبتنا الظنونا
بأنور سوف نقهرهم جميعا ونشفى جرح من فقد العرينا
وذا ثالوث وحدتنا الأبية ينادى الصحب والخل المعينا
دعوت الله أن يبقيكم منارا وأن يرعى بك الوطن الأمينا

جميلة العلايلي

إهداء

في طريقك يا جمال حتى نلتقي بك

إلى من حوَّل أنفاس المواطنين إلى قوة منبثقة من السماء، تجتاح الباطل وتقيم من العدم وجوداً

إلى رائد الأمن والسلام.

إلى من علم الشعوب الحب والوئام.

وجعل من التنافر وثيقة للاتحاد التام.

جميلة العلايلي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مجمع الأدب العربي يقدم

جاسوسة صهيون

بقلم جميلة العلايلي

كان المفروض أن نقدم المؤلفة إلى القراء... ولكن جميلة العلايلي ليست في حاجة إلى التعريف، فقد التقى بها القراء في الجمهورية العربية المتحدة وفي كل بلد يتكلم شعبه أو بعض أهله تلك اللغة الجميلة ناثرة وشاعره

عرفها القراء فيما نشرته منذ بدأت في مستهل صباها الباكر في أقاصيصها المنثوره وخواطرها وأحاسيسها الشعرية في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية و الشهرية و يشهد لها معاصريها من الأدباء والقراء بكفاحها الأدبي ونشاطها البارز على أوسع نطاق لتدعيم الأدب الحر الرفيع والدين القديم بما كانت تقيمه من مهرجانات أدبيه عامه كان يحضرها كبار رجال الدولة والوزراء والسفراء والأدباء والشعراءمن مصر والدول العربية عدا ندواتها الأدبيه في صالونها الأسبوعي. وحتى الآن لم يظهر كفاحاً أدبياً لاظهار إنتاج الأدباء والقراء كما أظهرته جميله في المهرجانات والندوات منذ عام سنة ١٩٤٦ حتى تحول نشاطها العام إلى مجلة الأهداف التي أنشأتها بمعاونة زوجها المرحوم سيد ندا لتكون سجلا لانتاج أعضاء مجمع الأدب العربي الذي تأسس سنة ١٩٤٧ ولتجميع الأدباء والقراء

الذين يسيرون على ضوء تعاليم السماء في كل بلد اتخذ المثل العليا هدفا يكافح من أجله ولطالما أسهم أعضاء المجمع بجانب الداعين للحرية الشريفة والعدالة الحقة في ابراز معالم الثورة المجيدة منذ أنبثق نور مجرها منذحمل رايتها رائد الثورة جمال عبد الناصر.

ولقد ظلت جميله تواصل السير في درب كفاحها الأدبي غير وانية ولا متعثرة مضحية بالجهد والمال متمشية مع الثورة الرشيدة وما يتطلبه ركب التحرر من مقاومه الأفكار الباطله وكشف النزعات الغاشمه وتركيز المبادىء السليمة الخالده وفق تعاليم المعلم الأول جمال عبدالناصر.

ولما كان هذا العصر يتفجر منه كل يوم قنبلة حدث جديد تتكشف عن خفايا لم تكن في الحسبان و أن كانت مرت بخاطر الملهمين من أهل الإيمان وعمق الوجدان. وفي طليعتهم قائد الثورة.

ومن هذه الخفايا التي تطالعنا من حين إلى حين مؤامرات الجاسوسية الدنيئة التي تلعب دورها ببراعة مخترقة حجب آفاق الشعوب التي تحترق باب القوى الداعية للقتال.

وجميع الدول الكبرى والصغرى كانت مسرحاً لمؤامرات الجاسوسية التي استطاعت الصهيونية أن تصطنع وسائلها و أساليبها وفقا لطبيعة كل شعب وظروفه.

والباحث المحقق يجد أن جميع المشاحنات الأقليمية أو الدولية نشأت إثر وضع بذور الجاسوسية في أرض لم تكن مهيأه من قبل لهذا الداء

ألوبيل ولم تلبث حتى امتد سلطانها و باتت هي القوى الحاكمة المسيطرة في الخفاء، وذلك بحكم الدافع الشرير.

هذا الدافع الذي دفع اسرائيل من قبل الى العمل بوسائل غير مشروعة لاغتصاب أرض لم يتدنس من قبل فاتخذوها وطنا بعد أن ضاقت الأوطان العليمة بدهائهم وضلالهم ومكرهم.

ولم تكد اسرائيل تغتصب ما اغتصبته من أرض فلسطين حتى اتخذت الجاسوسية وسيلة إلى تجميع قواها للتفرقة بوسائل جواسيسها ولم تلبث حتى كونت طائفة اسمتها - صهيون... بدعوى أنها الطائفة الداعية لحماية دين موسى عليه السّلام والله يعلم أن نبيهم بريء من اثمهم الذميم.

فكيف تدعي صهيون أنها تنتمي لدين موسى وهي تدين بالفساد والشر والانحلال والظلم والافك والطغيان متخذة من أبنائها جواسيسا كالشياطين تنفث لهب الكراهية والتضليل بين الشعوب المتحابة الآمنة التي عاشت تحت ظلال الحب والوئام منذ نشر الإسلام لواء الاخاء والتعاون والسلام مستنكرا كل ما ينتمي إلى الحقد والخصام.

والمرض الوحيد الذي استعصي على اطباء الانسانية قتل جراثيمه وانتزاعها من صلب الانسانية... مرض الجاسوسية... اذ ليست له أعراض ظاهره حتى يمكن تحديد تشخيصه إلا إذا أوتي مكتشفيه قوة روحانية هائلة وإيمان عميق يقضي على الدهماء.

ولاتحسب عصرا ابتلى بأشرار الجاسوسية كما ابتلى هذا العصر حيث عرفت اسرائيل كيف تدرب أبناءها على الجاسوسية بمهارة فائقة

حتى أصبح كل صهيوني - جاسوس... و كل جاسوس مهما اختلف دينه أو جنسيته ربيب تعاليم صهيون اللعينه.

ولئن كان تيار الجاسوسية كالأعاصير والزلازل التي تجتاح كل آمن فجأه، وقد يكون اقوى من المضادات في مظهره لأن ريحه اللاقح يندفع حاملا معه أخطر الأوبئة...

ولكن الله سبحانه و تعالى خلق الداء... وخلق الدواء واذا كان الداء في صهيون... فالدواء الذي يحمينا بين أيدينا في صفاء نفوسنا وطهر قلوبنا وشفافية أرواحنا وعمق تفكيرنا وسلامة ايماننا و بعدنا عن الأثرة والأنانية و توحيد صفوفنا وجمع كلمتنا. و تنبيه جماهير إلى اساليب اسرائيل.

ولقد تنبهت الجمهورية العربية المتحده بعد اكتشاف عدة شبكات للجاسوسية على مدى السنين التي مرت قبل العدوان وبعده إلى الوسائل والأساليب التي تحيك بها خيوط مؤامراتها عن طريق جواسيسها بجانب محاولتها زلزلة اليقين العربي، بما تصوغه الجاسوسية ببراعة ومهارة من افتعالات لتدر الدموع من عيون مريديها ومن اتخذوها وسيلة لتدمير الكيان العربي.

وليست المشكلة الآن في تفهم ومقاومة الجاسوسية إنما المشكلة في ضرورة العمل الجاد لإيقاف نمو بذور الجاسوسية التي ترمي خلة في الأراضي العربية والافريقية ولكي نجنب الأجيال المقبلة الوقوع في شبكات الجاسوسية التي تنسج بدقة لكي تغري على التعلق بها... وفي قصة جاسوسة صهيون ما ينبئ عن قدرة اسرائيل في تخطى الحواجز

لتنال هدفها ولكن الله لايغفل عن الاثمين. واذا كان مؤسس ثورة مصر جمال عبد الناصر استطاع منذحمل راية النضال على أن يقيها شر الإمبريالية و الصهيونية حتى اختاره الله إلى جواره فكلنا جمال عبد الناصر.

جلال سيد ندا

سكرتير مجمع الأدب العربي

مع الذكرى

في إطار أكثر من عشرين عاماً مضت على أحداث هذه القصة يستشعر الولد الأكبر أحد أبطال هذه القصة بمرارة الأحداث وكأنها وليدة الساعة بل يخيل إليه أن عجلة الزمن دارت خلف الأعوام الماضية لتنبه و عيه إلى ضرورة التزامه بتأدية رسالة تقضي على الجاسوسية لكيلا تتكرر المآس التي حدثت فيما مضى بسببها وفكر طويلا وكثيراً فيما عساه أن يفعل وهو لا يستطيع أن يجاهر مواطنيه بأنه ابن جاسوسة لعبت دوراً من أخطر أدوار الجاسوسية ولم يستطع مقاومة إحساسه بضرورة توعية الجماهير ولم يصعب عليه إيجاد منفذ يبيح له هذه المجاهرة دون أن يشير إلى نفسه وحسبه أنه أدى الواجب الوطني إزاء المعركة القائمة التي تعاني من الجاسوسية متاعب جمة فوق ما تعانيه من إصرار العدو على اغتصاب الأراضي العربية وعاد الرجل الذي يخطو نحو الأربعين من عمره إلى والده الذي اضطر في آخر ساعة من ساعات حياته إلى مصارحته بحقيقة أمه الذي كان يعتقد حتى هذه اللحظة بأنها مسلمة عربية أصيلة... ودار شريط ذكرى هذا الحديث وكأنه شريط سجل بصوت أبيه لم يزل يترامي إلى مسمعه بصوته الخافت المنكسر الذي تقاطع حروفه أنات الوجيعة والندم والتحسر والألم الذي يحول ألفاظه إلى غضة ومرارة تذوب بين شفتيه فتشعره بضرورة الموت للتخلص من حياته... وصاحب الصوت مشاهد هذه القصة وكأنه شاهدها بعينيه وعايشها بملء جوارحه ووجدانه...

حدثت هذه القصة قبل أن نتأهب للدفاع عن فلسطين وقبل أن يحدث العدوان الجائر وقبل أن يمر بخاطر أي مصري التفرقة الدينية بين اليهودي والمسلم... وكان طبيعياً و مألوفاً أن يتزوج المصرى أي امرأة أجنبية تبادله الشعور والتفكير، لذا لم يكن غريباً أن يتزوج - إلهامي - بفتاة يهودية تعرف عليها من تردده على متجر كبير أثناء إعداد جهاز أخته العروس وكانت البائعة حسناء تغرى العين على التطلع إليها مهما كان صاحبها رزينا وقوراً و لفت نظرها اتزانه الذي لم تألفه في المترددين عليها و عدم محاولته محادثتها في غير الشراء، الذي جاء من أجله ولأول مرة منذ التحقت في هذا المتجر لا يأبه بها المشتري مهما كانت مكانته وأصرت على محاربة اتزانه بوسيلتها الخاصة معتمدة علي دهائها اليهودي الذي ورثته من جنسها ورغم أنها قضت في مصر مدة طويلة فإنها حريصة على التمسك بجنسيتها... فلطالما عرض عليها كثير من الشبان المترددين عليها الزواج منها على أن تعتنق الإسلام والجنسية المصرية فكانت ترفض حتى ذلك اليوم الذي جاءها - إلهامي - فوجدها دامعة على غير عادتها مكتئبة تشكو سوء حظها الذي دفعها إلى هذا العمل المرهق الذي لا يتناسب مع رقتها ورهافة حسها كما تقول... و يشفق إلهامي عليها و يدعوها لتناول الشاي مع أخته العروس التي تعلقت بها و أعجبت بدمائة خلقها وبراعة ذوقها في انتقاء كل ما اختارته لها... وتوطدت العلاقة بينها و بين أخت - إلهامي - ولم تمض بعض شهور حتى تزوجت الأخت وانتقلت إلى بيت زوجها و كانت صغري الأخوات... و بدأ إلهامي يشعر بفراغ هائل وانتهزت البائعة الفرصة

وراحت تزوره كل أسبوع في يوم عطلتها لتنظم البيت وترشد الخادم إلى ما يجب عمله طوال الأسبوع وفي خلال هذه المدة... عرف - إلهامي - من حديثها أنها نزحت من العراق وهي طفلة مع والدها بعد وفاة زوجته التي لم تنجب إلاها ولقد جاء والدها إلى القاهرة بدعوة من تاجر يهودي له صلة قديمة به عندما نشرت الصحف أنباء سوء الحالة الاقتصادية في العراق بسبب أحداث سياسية طارئة ولم يكد والدها يستقر في القاهره ويعمل تاجراً متجولا بعض سنين حتى توفي في حادث تصادم أتوبيس كان يركبه بعربة لوري في طريق الأرياف... واحتضن صديقه ابنته وعهد إليها معاونته في متجره لقاء طعامها وملبسها... ومضت بعض سنين حتى شبت وضاقت بعملها... لأن المترددين على المتجر من عامة الشعب فقراء لضآلة المتجر و بساطة بضاعته الشعبية و في خلال هذه الفترة تعرفت على شاب يهودي نصحها بترك هذا المتجر والالتحاق بمتجر كبير يتناسب مع إظهار جمالها ورشاقتها وسرعان ما التحقت بمتجر كبير بعد أن اعتذرت لصديق والدها بأنها مشفقة عليه وقد باتت تتطلب تكاليف الشباب التي تفوق طاقته...

ولو كان - إلهامي - خبيراً بنفسية المرأة اليهودية الداهية الموروثة لأدرك أنها تحاول أن تحقق حلماً طالما مر بخاطرها وهي تقوم على تلبية طلبات السيدات والفتيات البارزات في المجتمع راجية في حقد وحسد أن تحل محل إحداهن و تصبح زوجة لرجل مرموق... وتوارى من ذهنها تعصبها الجنسي و باتت تأمل في الاقتران برجل ثرى غير وجيه آبهة بتقاليد جنسها الدينية مادام أبناء دينها أقل من مستوي مطامعها المادية بكثير... وساعدها على تحقيق هذه الأمنية...

أن - إلهامي - الذي ساقه القدر في طريقها أو ساقها القدر في طريقه. كلاهما يجهل من التابع ومن المتبوع. فهي تعتقد أن براعتها في اصطناع الحب كفيلة بتحقيق حلمها على أي صورة تمناها. ، وهو اعتقد وقت ذاك أن الله أراد به خيراً إذ أرسل إليه هذه الحسناء المحبة الوالهة التي افتتنت به رغم الفارق بين عمره و عمرها و بعد أن كان معتزماً ألا يتزوج طيلة حياته وكم رفض الاقتران بكثيرات من كريمات الأسر العريقة منذ كان شاباً يافعاً حيث آلت إليه مسئولية أخواته البنات بعد وفاة والديه و لعل عواطفه تنبهت في سن الشباب بحكم ازدهار طبيعة السن لكنه كان يقاوم ابتغاء توفير السعادة لأخواته وتأمين حياتهن مستغلا وقت فراغه لتزويد ذهنه بالمعلومات الحديثة التي تعينه على تعزيز مركزه الاجتماعي وتركيز مستقبله على أعمدة تقيه شرالخلل متخذاً من صدق وطنيته وحرصه الشديد على القيام بواجبه نحو أسرته ووطنه على الوجه الأكمل بعيداً عما يثير في نفسه بواعث اللهو والتسلية... و لطالما تهافتت عليه نساء فاتنات وحسناوات بارزات فكان يتجاهل و يعرض عنهن في أدب وكياسه إلى هنا كان حظه في ركابه دون أن يدري حتى اضطر إلى ملازمة أخته العروس لشراء لوازمها من المتجر الذي تبيع فيه تلك الحسناء اليهودية التي عرفت من سياق حديثها مع إلهامي أنه - أعزب - وأنه رغم تقدم سنه - خام - لا يعرف الكثير ولا القليل عن إغراء المرأة. ووجدت الفرصة سانحة لكي تجذب قلبه وشجعها على ذلك تلطفه و تهاونه في الشراء وبدهائها الكمين تفننت في إغرائه محاولة أن تشعره بنظراتها و بسماتها وكلماتها بأنها وقعت في غرامه في غفلة من أخته التي كانت تتركهما لتمر على مختلف المعروضات لتنتقي ما تشاء مؤكدة له بأنه أول رجل فتح قلبها.

ولم تمض أيام بعد زفاف أخته حتى عرض عليها الزواج على شريطة أن تعتنق الإسلام فوافقت لتؤكد له أنها أحبته وتؤثره على دينها و جنسها وانتقلت من الغرفة التي كانت تستأجرها فوق سطح إحدي المنازل القديمة في الضاهر إلى قصر الزوج العظيم وأصبحت زوجة لها من السلطان والمكانة المرموقة ما لزوجها في المجتمع. ولكي تمعن في استمالة قلبه راحت تظهر بمظهر المسلمة الأصيلة عندما بدأت المناورات بين العرب و اسرائيل ثم اشتدت المناورات و تحولت فجأة إلى الحرب لكي يسترد العرب فلسطين المغتصبة وكان من الطبيعي أن تتحول أحاديث الزوج مع زوجته من السمر إلى أحداث الحرب القائمة وأن ينصحها بالابتعاد عن الحفلات التي كانت مولعة بها حرصاً على مشاعر أبناء فلسطين المشردين و قد قصر حديثه وتفكيره على قضية فلسطين بحكم عمله كدبلوماسي من ناحية و إيثاره مصلحة العرب على ما عداها وكانت تشيد دائماً بإخلاصه للعروبة وتشعره بأنها فخورة بوطنيته وعروبته ورغم أنها كانت تضيق بأحاديثه عن فلسطين ومدي تعلقه الشديد بعروبته وتفانيه في خدمة وطنه العربي مع إيثاره مصلحة الوطن على مصلحة نفسه ومصلحتها وإيمانه المطلق بعدالة مطالب العرب لكنها كانت تخفي ضيقها باصطناع مشاركته فإذا غلبها الضيق حاولت أن تصبغه بشفقتها على صحته وما يعانيه من إرهاق و جهد... على أنها لم تشأ أن تبدي ماينتابها من مشاعر مرة كلما لاح لها تحول زوجها عنها لانهماكه في مهام الدولة وعمدت إلى أن تشعره بالمشاركة والتألم البالغ لما يصيب العرب من سوء تصرف إسرائيل مؤكدة له أن أسرتها كانت يهودية أصيلة متبرئة من صهيون اللعينة التي لا تنتسب لموسى عليه السلام وبلغ من أمعانها في تمثيل دورها أن اطمأن الزوج إلى إيثارها العرب على صهيون وإخلاصها البالغ له

وللعروبة ولم يجد غضاضة في أن يبثها تألمه الشديد لما يعانيه اللاجئين من تشرد و حرمان و قلقه البالغ على مستقبل فلسطين... وكانت من خلال حديثه تقتنص ما يمكن اقتناصه من أسرار أعماله السياسية مظهرة له التفاني المطلق واستعدادها لخدمة الوطن العربي ملحة في الرجاء بأن يسمح لها بالتطوع والمشاركه في أي عمل وطني يعود على الوطن العزيز بفائدة... طلبت ذلك وهي موقنة بأنه سيرفض حتما لعدم مقدرته على فراقها لحظة واحدة ولحاجته الماسة لرعايتها وهو يعمل ليل نهار من أجل نصر العروبة.

عشرون عاماً مضت من عمر زواجهما قبل قيام الحرب فهل تحول الدم الإسرائيلي إلى دم عربي، وهل تراها تؤثر مصلحة العرب هي مصلحة اليهود حقاً... أنها الآن ترتبط بالإسلام ارتباطاً شرعياً واجتماعياً و قانونياً ويربطها بكل ذلك زوجها وأولادها ولم يعد بربطها باليهود غير ذكريات الطفوله الضئيلة وصلة الرحم؟!. ومع ذلك لا تستشعر بغير مشاعر اليهود ولكنها تخفي هذه المشاعر بمهارة فائقة موهمة زوجها بانقطاع صلتها باليهود رغم تردد فقراءهم عليها من حين لآخر للاستجداء و طلب المعونة كلما مسهم الضر وهم يصطنعون أبداً الفقر بل كانت تسعى إليهم وهي بمقر كل منهم عليمة لتمد للمحتاج العون في حين كانت لا تمنح أي سائل عربي أي مليم إلا إذا اضطرت أمام زوجها مرضاة له أو أمام معارفها من المصريين. ولم يمر بذهن زوجها أي شك في صحة اعتناقها الإسلام وحبها لمصر والعرب ولم يدر أولادها أو أفراد أسرة زوجها بحقيقة دينها وكل من عرفها أو اتصل بها بعد الزواج يعلم أنها مسلمة وأن اسمها فاطمة ولكي يمعن زوجها في التمويه قدمها لأسرته بعد أن اتفق مع أخته التي تعرفها بأنها

عربية فقدت أفراد أسرتها في حرب فلسطين و نجت هي لأنها كانت في إحدى مدارس القاهرة.

فلما شبت نيران الحرب بين صهيون والعرب... حركت نار عواطفها الدفينة تحت رماد تكتمها فإذا بالنار تصهر الدم اليهودي فيسري حرارته في شرايينها وتحولها إلى عاطفة مجردة من القيم وتصبح لا هم لها غير التفكير في معاونته صهيون بأية وسيلة وتمنت لو تستطيع أن تلتحق بجيشهم غير آبهة بالزوج والأولاد لترد عن صهيون نيران العرب - ولكن ثمة تفكير وقف بها عند حد فراحت تفكر ما مصيرها بعد أن تتوقف الحرب؟! وصهيون لم تقف على قدميها بعد حتى تأويها وتعينها، أنها لم تزل تستجدي لتعيش فهل تضيف إلى عبئها عبئاً وهي تريد أن تهون عليها و تساعدها و بعد أن فكرت طويلا أيقنت أنها تستطيع معاونة إسرائيل وهي بعيدة بأي وسيلة.

وفي غفلة الزوج المسكين كان يعيش فقراء اليهود في مصر على حسابه... بل هناك كثيرون من اليهود الذين يحتاجون لمساعدات أدبية أو إدارية تساعدهم بطريقتها الخاصة إذ المعروف أنها مسلمة... فما عساها أن تفعل لكي تساعد صهيون دون أن تظهر في الميدان... ووقف بها التفكير أخيراً بعد أن تنازعتها عدة تيارات على أن تعمل مافي وسعها أن تعمله لخدمة اليهود من وراء ستار...

و بدأت تفكر في الوسيلة. أنها لا تملك غير الحلى والجواهر وما ادخرته من مال. وذلك كله ثروة طائلة بلا ريب... والتمعت عيناها مبتسمة لخاطر مر بذهنها وسرعان ما انتهزت الفرصة الملائمة بعد أن هيأت لأولادها فرصة للنزهة خارج البيت طوال اليوم وفي حذر ذهبت

خفية إلى صديق يهودي من أصدقائها القدامى وكانت على صلة به دائماً بعد زواجها و بعد التفاهم معه سلمت له حليها وما ادخرت من مال لإرساله إلى صهيون مطمئنة إلى قدرته على ذلك إذ كان لهذا اليهودى شقيق هاجر إلى إسرائيل وله ولد في فرنسا وكان يكاتبه بطريقة سرية إذ يكتب لابن أخيه في فرنسا ما يريد أن يقوله لأخيه ثم يتلقى الرد عن طريق ابن أخيه أيضاً - وبذلك استمرت المكاتبات و تبادل الأخبار بأسلوب لا يفهمه غيرهم... وما دامت الرسائل لا تحمل خاتم إسرائيل فلا حرج من تبادل الرسائل بين المواطنين في الجمهورية والبلاد العربية الأخرى... ولم تقنع الزوجة بما بذلت خفية بل أسرعت في تنفيذ الخطة التي رسمها لها الصديق دون تردد فعادت إلى بيتها قبل عودة الأولاد والخادم حيث سمحت لها بمرافقة الأولاد في نزهة خارج البيت... و لكي تبرر فقد ما وهبت بطريقة معقولة... راحت تستغيث بعد أن تأكدت من خلو البيت إلا منها صائحة... الحقوني... سرقونا... سرقونا، وسرعان ما التف حولها الجيران وجاء رجال الأمن للتحقيق... قالت لهم... كنت مشغولة في المطبخ لوجود الخادم مع الأولاد في الخارج فسمعت حركة خفيفة ولما خرجت لم أجد أحداً ولكنني وجدت دولابي الخاص مفتوحاً على مصراعيه... كل ما كان لدى سرق... ثم تصنعت الأغماء وارتمت على الأرض... و شغل بعض الجيران بتنبيهها و البعض يدلى لرجال الأمن عما فقدته لعلمهم أن لديها مجوهرات ثمينة تقدر بألوف الجنيهات وقالت أقربهن إليها وأكثرهن تزاوراً لها أن زوجها كان لا يهتم بتوفير المال بل يشترى لها الجواهر لكثرة حبه لها وقد باع أكثر الفدادين الذي يملكها لتحقيق رغباتها وهي مولعة باقتناء الجواهر... ولم ينفض الجمع إلا بعد أن حضر الزوج الذي جاء بدعوة من رجال الأمن ولم

يفزع للسرقة بقدر فزعه على ما أصابها من هلع وأغماء وحزن وترفق بها مهدئاً روعها ووعدها بشراء بديل لما سرق منها مرفهاً عنها بأعذب حديث ينم عن حنانه الوفير لسلامة نيته وطهر نفسه وصعب عليه أن يدرك ماوراء الشفتين المرتعشتين والعينين الدامعتين من مشاعر براقة وظن بسمتها المهومة على شفتيها تطميناً له لكيلا يتألم من أجلها ولم يدر أن البسمة تنفيس لمشاعرها الخفية و لنجاحها في تنفيذ أولى مشروعات مساعدة صهيون التي استولت على مشاعرها و تفكيرها ولم يعد يشغل بالها غير مساعدة إسرائيل لتنتصر وراحت تنظر إلى زوجها وهي تضحك وهو يفسر ضحكتها بنوبة هستيرية فازداد حزنا لها وشفقة عليها... ولم يدر أن حبها له وللعرب الذي تظهره مكياج تجميل يزيدها جمالا وما هي إلا يهودية تنتمي إلى صهيون بدمائها وعواطفها وكل نبضة من نبضاتها تخفق بمشاعر صهيون تلك المشاعر التي تنبهت بأول طلقة انطلقت من صهيون اللعينة وأن كل قطرة دم فيها تحاول أن تزود عن إسرائيل وتسعى بكل إمكانياتها للاطاحة بكل عمل يقوم به العرب ضد إسرائيل وتصرخ روحها بغير صوت كأنها تواجه صهيون وجها لوجه.. مغمغمة لا كنت ولا عشت إذا ارتضيت الخذلان لصهيون... وفي عصبية شريرة استسلمت لمشاعرها الفدائية من أجل الحفاظ على اسرائيل مستهينة بكل قطرة دم من دمائها في سبيل ذلك... متمنية لو استطاعت أن تمزق أوصال كل من يعتدي على إسرائيل و لكن كيف؟ هذه هي المشكلة كما تعتقد

وفجأة يدخل عليها أولادها يصيحون... تسقط صهيون... تسقط وهنا يطيش صواب الأم ويصيبها مس من جنون فتجري خلفهم وقد خانها حرصها الدفين وتضربهم ضربا مبرحا في قسوة لتطفيء جذوة نار

الغيظ المشتعلة في صدرها بدعوى أنهم يقلدون السوقة في الطرقات ويتركون دروسهم وهي أهم من هذا السخف و الهراء ولم تكد يدها تمتد إلى كبيرهم حتى يتحداها قائلا.

أن نار فلسطين امتدت إلى كل وطن عربي بل في قلب كل عربي مناحة من أجل فلسطين المغتصبة فكيف نصمت وقلوب اخواننا تئن وتتوجع وتحترق و يستشهد. أن دماء الشهداء تجري على الرمال كأن الصحراء تفتحت عن ينابيع من دماء... و يح صهيون منا ومن كل عربي. لعنة الله عليهم.

و يلوح الأوسط بيده كأنه يشهر سيفا مرددا بلهجته المتحمسة.

سأقتل صهيون يا أماه.

ويردد الأصغر،

سنحرقهم كما يحرقون العرب.

وتتعالى أصواتهم.

يسقط الاستعمار وكل من يعادي العرب.

وبصوت حاد يقول الكبير.

سأتطوع لأنتقم للشهداء.

وبدل أن تشفق عليهم لانفعالهم الثائر و تبارك حماستهم الوطنية تنظر اليهم شذرا كأنها لم تلدهم و تشعر بانهيار أمومتها و بفقدان عواطف الأم الرحيمة ويعلق بصرها بهم كأنهم غرباء عنها وهم يروحون و يهرولون في غرف البيت صائحين. الويل لصهيون. وكأن البيت تحول إلى ساحة قتال وهم الجنود يصولون و يجولون ولم يمر بخاطرهم ما وراء انفعال أمهم من أحاسيس بغيضة تفيح بكراهية العرب و تود لو تقدم أولادها فداءاً لنصر صهيون أو تذبحهم قربانا على عتبة دولة اسرائيل المرتقبة.

وكان من الطبيعي ألا يدركوا أن دم صهيون يتحرك في شرايينها بحماسة لا تقل عن حماسة عروبتهم الأصيلة، بل لعلها أكثر شرا لقدرتها على تزويد مشاعرها برغبة تزودها بلهب الحقد والشراسة والشرورو الغدر والخديعة ولم يمر بخاطرهم أن الأم التي تقف أمامهم تعمل وتجاهد خفية من أجل صهيون لأن والدهم أخفي عنهم أصلها لكيلا يزلزل ثقتهم فيها. أو يضعف حب البنوة فيهم وسكت الجميع عندما تكلم كبيرهم وقد انتابته حرارة الشباب وثورة الثائرين.

> اسمعي يا أماة. لقد انضممت اليوم إلى الفدائيين وقد أسافر بعد أيام قلائل المهم أنا الآن تحت الأمر في أي لحظة. أن في قلب كل مواطن أتونا يغلى و لهبه يكفي لحرق صهيون لو تجمعت أمامه. ثورة محرقة سوف تقضى نارها المتأججة على صهيون الملعونة وسوف تحولها إلى رماد تذروه الرياح.

ومع أن كلمات الشاب المنبعثة من وجدانه الثائر تكفي حرارتها لتنبيه ضمير كل جبان وكل خائن فإن الأم لم تتأثر بل تعمدت أن تخرسه

قائلة:

هل حقا تطوعت؟

فأجابها.

ذلك أقل ما يفعله المواطن الشريف لحماية الوطن.

فهزت رأسها متهكمة قائلة:

أنت طفل أبله.

فقاطعها في حماسة.

أنا بوطنيتي رجل عملاق. اعرف كيف أصوب الرصاص لاقتل أعداء العرب. أنظري.

وأخرج من وراء ثيابه مسدسا وقبض على زمامه وهو يشهره في وجهها مردفا:

أني أعرف كيف أقتل عدو وطني.

وشعرت أنها لم تعد تحمل في قلبها أي عاطفة تربطها بهؤلاء الأولاد... أن صهيون عندها كل شيء... ومر بخاطرها أن هذا الولد لن يتردد في قتلها لو عرف انها تنتمي الى صهيون... انه هو الآخر يكرهها وتصورت أولادها أعداءها وتمنت لو تستطيع أن تتخلص منهم لتستريح وتسهم بذلك في حرب صهيون بقتل هؤلاء الثلاث وقد تستطيع أن تقتل غيرهم من العرب بغير سلاح ومدت يدها في عنف وجذبت

المسدس من يد الولد وقد مر بخاطرها خاطر أسود مريع وسيطر عليها احساس شرير وصوبت المسدس نحو ولدها الكبير وقد فقدت السيطرة على اصطناع حب العرب وقالت

دعني أتعلم كيف أطلق الرصاص فقد أساعدكم

و صوبت المسدس إلى صدر ولدها وهي تقول

أهكذا تريد أن تفعل بصهيون

و حركت الزناد وقد تطاير من عينيها شرر الحقد واطلقت الرصاص وخرجت الطلقة وصرخ الأولاد...

أخي... أخي...

وارتمى الولد على الأرض وارتمى الصغار على صدره وهم يصرخون...

قتلته... قتلته...

وضحكت هي في هستيريا وجنون وقد خانها النطق لكن الولد انتصب بعد أن استفاق من هول الصدمة وضحك مبتهجا لاجادة تمثيل دوره وقال لها.

أن مدربي لم يضع فيه رصاصا انه (فشنك) التجربة... أنت قاتلة ماهرة يا أماه. لقد اثبت اجادتك للرماية... فتطوعي معى لتقتلى عددا وفيرا من الصهاينة

ووقع المسدس من يدها من انهيار اعصاب يدها وارتمت على المقعد متخاذلة بينما التف حولها الأولاد يقولون...

اطمئني... ان اخي بخير وسوف يحفظه الله ليقتل الصهاينة الملعونين

وعقب الولد الكبير

غدا سترينني في طليعة الفدائيين أقاتل إسرائيل بعون الله.

وغمغمت الأم بصوت مخنوق...

لا لا يا ولدي... كن بجانبي لا تذهب دع القتال لمن هم أكبر منك سناً وأوفر قوة...

ويعلم الله أنها لا تريد استبقاءه خوفاً عليه بل لكيلا تزيد عدد مقاتلي صهيون...

وصاح الولد...

كيف أبقى ورئيسنا جمال يبذل دمه وعرقه وصحته من أجل الوطن. لقد علمنا بعمله دون تلقين أن نكون عاملين لتحقق العروبة آمالها و لنحفظ للوطن العربي كرامته و نصون حقوقه. أن صيحة الحق نبهت الضمائر و إيمان العربي بضرورة العمل الموحد لحفظ كيان العروبة جعلت الملوك والرؤساء قواداً للمعركة و بذلك أعادوا للشعوب عهد

الصحابة والخلفاء الراشدين... و تنفس في طلاقة ثم ردد. النصر للعرب بإذن الله...

وعاد الولد يقول:

أولم تسمعي كلام الرئيس. أنه لا يتكلم بلسانه يا أمي أن كل همسة من همساته خفقة من خفقات قلبه يستشعر بها كل عربي ويتجاوب معها. أنه يقودنا بكل نبضة من نبضاته وما أنا وأنت وأبي وأخوتي و كل عربي ألا صورة منه بما يحمل من رغبة ملحة للذود عن الوطن و تضحية الذات في سبيله فباسمه نجاهد وعلى الله توكلنا.

وحركت شفتيها لتتكلم محاولة أن تغالب انفعالها الصهيوني و لكن الكلمات ذابت في حلقها فلم تستطع، وبعد معاناة قالت بصوت خفيض...

بودي لو أفعل " شيئاً"،

وسكتت إذ ما تريد أن تفعله هو القضاء على العرب. فما عساها تفعل وإن حاولت أن تجاهر بما تريد قضت على نفسها للأبد...

في المساء دخل عليها زوجها فرحاً مستبشراً معلناً أن النصر للعرب وإن شاء الله بعد أن صوبوا سلاحهم البتار في وجه صهيون إذ يكفي قطع البترول وغلق قناة السويس مع الوحدة الكاملة للعرب. أن ذلك يكفي بلاريب للقضاء على الاستعمار وصهيون اللعينة. ولأول مرة يخونها إحساسها الدفين فتدمع عيناها و تتنهد مغمغمة...

هل حقاً النصر للعرب؟!

ثم خافت أن تفضحها عواطفها فقامت مبتعدة عنه خيفة أن تفضحها مشاعرها متلهية بتنسيق الغرفة... ولكن زوجها دعاها للجلوس بجانبه مردفاً،

بت أترقب بين لحظة وأخرى أذاعة انتصارنا.

وصعب عليها أن تقاوم انفعالها الكمين فاصطنعت دوارا في رأسها وسرعان ما اعتكفت في غرفتها متناومة لكيلا تسمع كلام زوجها و تعليق أولادها...

وظلت معتكفة رغم محاولة الزوج والأولادملاطفتها و الترفيه عنها وترديد الأناشيد الوطنية والنكت المصرية عن انتصار العرب وسقوط صهيون ولكنها لم تستطع مغالبة مشاعرها العدائية مأخوذة بحب إسرائيل وتظل كذلك حتى يخرجها من تفكيرها هياج أولادها وصدي حماسهم الوطني وقد ارتفع صوت شقيقهم الأكبر وهو يوزع عليهم شارات التطوع باثاً فيهم روح الحماسة والتفاني لخدمة الوطن العربي وقضية التحرير الكبرى والتخلص من الاستعمار و صهيون راسماً لكل من أخويه خط جمع التبرعات حسب قدرته لمساعدة أسر الشهداء والمجهود الحربي ثم يندفع إلى أمه منادياً في حرارة وحماسة موعزا إليها بضرورة المشاركة الفعالة لجمع التبرعات من سيدات الحي ومن صديقاتها و معارفها... وتحاول الأم أن تصطنع الاستجابة إلى رغبته متكلفة المرض والاعياء لتوهمه أنها لا تستطيع القيام بهذه المهمة الآن لمرضها. وعندما يكرر رجاءه مؤكداً لها أن هذا العمل

الجليل سوف يكتسح ألمها ويجدد نشاطها ولكيلا يسترسل في حديثه توقفه عند هذا الحد على أمل أنها ستفعل حتماً من تلقاء نفسها بمجرد أن تستعيد صحتها ويتدخل الوالد فيؤكد لأولاده أن الأم لا تقل عنهم وطنية وإخلاصاً للعروبة بل لعلها تفوقهم. ويهتف الأولاد...

تحيا مصر. يحيا العرب. تحيا فلسطين. تسقط صهيون ويسقط الاستعمار.

وتخشى الأم أن تفضحها مشاعرها الحبيسة فتكلف الخادم بغلق الباب عليها لأن الضجيج يزيد من صداع رأسها ولم تكد تشعر بخلو الغرفة حتى تترك لمدامعها العنان محاولة أن تصم أذنيها عن هتافات أولادها بحياة العروبة وسقوط صهيون وتضطرب و تتمالك نفسها عندما يفتح زوجها الباب ليصور لها مدى ابتهاجه لوطنية أولاده الذي يتوسم فيهم بطولة مبكرة... راجياً لهم حياة حرة تهيء لهم الكفاح من أجل تحرير كل وطن مستعبد حتى ولو كان من أقصى القارة مؤكداً لها أن الحرية هي منبع السلام الذي يفيض بالخير والحب والبركة ثم يميل عليها ليقبلها:

أفرحي وأهنئ بأولادك يا فاطمه وشجعيهم كلما اجتمعت بهم على تقوية وثبة الوطنية فيهم وزوديهم أبدا بزاد حب الوطن والوفاء له حرصا على سلامتهم وحريتهم...

ولم تجد بداً من التظاهر بأنها حريصة على أن تشجعهم على حب الوطن ثم تنكس رأسها مصطنعة شدة الصداع فيقطع حديثه ويقبل عليها حانياً ثم يقدم لها الاسبرين والشاي ليخفف ألم الصداع مبدياً

رغبته لدعوة الطبيب ما دام الصداع مستمراً هذه المدة فترفض في إصرار راجية منه أن يكلف ابناءها بالتزام الهدوء ريثما تتعافى ولا يقلق راحتها أي أحد ريثما تسترد صحتها ويستجيب لرغبتها تاركاً إياها لتنام كما تريد ولا يدري الزوج الطيب أن في كل كلمة من كلماته وكل هتاف من هتافات أولاده رصاصة مسمومة مصوبة إلى صدرها متناسية أن هذا الزوج الذي هيأ لها السعادة الكاملة ما هو إلا عدو من أعداء جنسها وكذلك أولادها اليوم أعداء متطوعين وغداً من الفدائيين وسقطت تحت وطأة تفكير عنيف يتنازعها شعوران متناقضان، شعور الأمومة وشعور العداء.

وكان لابد أن يستكين الأولاد حرصاً على راحة أمهم بعد توجيه والدهم فالتزموا الهدوء صاغرين وفي صدورهم ثورة تود لو تطيح بكل هدوء لتتحول الدنيا كلها إلى ثورة تبيد كل باطل يتجسم في صهيون ومن يساندها.

أما الأم فقد تناومت لتبعد زوجها عنها فلما شعرت بأنه خرج لشأنه استسلمت لهواجسها وخواطرها التي تحولت كلها إلى انتفاضات عدائية تمثل أمامها في زوجها وأولادها وهؤلاء يحاربون جنسها على مرأى منها في صراحة صارمة فهل تراهم يكفون عن هذه العداوة لو علموا أن أمهم يهودية؟! وأن حنانها نحوهم يكاد يتلاشى وساءلت نفسها أتراها تستطيع أن تقتلهم لتقلل أعداء إسرائيل على الأقل!...

الا يحتمل أن يخرج من بين هؤلاء الصغار زعيما كجمال... أن أبناء الجيل كلهم يترسمون خطاه بل ابناء العرب من كل جنس يعتبرونه والده الروحي ورائدهم الوطني.

لقد بات أكثر من مائة مليون عربي يكرهون اسرائيل ولن يترددوا في قتالها و العمل على محوها من الوجود وقد يكون أحد أولادها زعيم الجيل الصاعد كما يسمونه وقد يكون هو القابض على زمام محو صهيون، ان حماستهم البادية تلك تنذر بالخطر على صهيون.. و تصورت الخطر يحيق بها من كل جانب. وطاف خيالها بأحداث العالم التي تدور في هذه الساعة وايقنت مما تسمعه أن خطر الجيل الثائر الصاعد سيكون خطراً ذريا بغير آلات. وقد تكون طاقة نفوسهم الثائرة أقوى من الذرة التي يرتعد العالم هولا من مجرد تصورها.

وأيقنت بعد تفكير أنها تحارب أولادها وأولادها يحاربونها وان كانت هي تدرك تماما لم تحاربهم خفية أما هم فلا يعلمون أنهم يحاربونها في صهيون الجاثمة على صدر العرب هناك.

وصح عزمها على أن تضع حدا لمشاعرها وأن تحدد بالضبط أحاسيسها بالنسبة لزوجها وأولادها وبالنسبه لصهيون··· واعتزمت أن تصطنع مشاركتهم بإظهار عواطفها نحو الوطن العربي وانتوت أن تخبر مشاعرهم نحوها أيضاً دون أن تشعرهم بذلك فلما اجتمعوا ليتناولوا العشاء انتهزت فرصة حديثهم حول المعركة وقطعت الحديث قائلة:

قرأت البارحة في احدى الصحف أن ولدا مسلما عربيا اكتشف بعد أن كبر أن أمه كانت يهودية قبل أن تتزوج والده وفي ثورة جنون قتلها ظنا منه أنها تنتمي إلى صهيون فما رأيكم في هذا الولد أتراه مخطئا أم على حق

وخاف الوالد أن تخبرهم بماضيها فنظر اليها بمعنى - حذار - ونظرت اليه بمعنى لا تخف وهي تصغي لولدها الكبير الذي قال:

كان يجب أن يتأكد منها أولا فإذا وجدها صادقة في ايمانها مخلصة للوطن والعروبة فلا ذنب عليها أما اذا اشتم منها رائحة الخيانة أو الميل لصهيون فلا حرج عليه اذا قتلها بل هو على حق والدين والوطن شفيعان له...

ثم علق في حماسة ويقين -

لا أعتقد أنها تؤثر الإسلام على دينها وأغلب الظن انها تزوجت المسلم لامر ما... فمثلا كان غنيا وهي فقيرة أو لعلها عمدت الى أن تحمل اسمه بدهاء اليهود لكي تكون جاسوسة لصهيون... ان الجاسوسية تفعل الأعاجيب محطمة الأصفاد وكثيرا ما كان الدين في مقدمة بواعثها.

وخان الام وعيها فصرخت في وجهه،

ايقتل أمه؟...

قال...

مادامت خائنة للوطن والدين فهي غير جديرة بأمومته

فقاطعته أخته،

لا أظن عواطف البنوة تساعده على قتلها... خير له أن يتنحى عنها كأنها لم تكن...

قال الولد...

ان في خيانتها جرما لانهاية لفظاعته لانها لبست مسرح الإسلام كذبا.

فقالت أمه والشرر يتطاير من عينيها

هبها أمك أتقتلها؟

فسكت لحظة مطرقا وهو ينقر باصابعه على المائدة وكان الكلام الهاه عن الطعام ثم ترك المائدة دون أن يكمل طعامه وهو يقول،

لا أعرف ماذا أفعل وقتذاك، أن الله فوق الأم وكل شيء... هذا ما أعلمه وسأظل أعلمه وأعمل من أجله...

قالت

ولكن الله أوصى البنين بالوالدين...

قال

إذا كانا على دين الله

و صعب على الوالد أن يقوم بينهما الجدل على هذه الصورة وخاف أن يتحول الى مأساة حاول خلال سنوات زواجه أن يحرص جد الحرص

على الا تقع فقال ليضع حداً لحديثهما...

مالنا والناس... أننا لا نعرف تفاصيل هذه المأساة والصحف أحياناً تنشر القصة دون تعليق أو ذكر الأسباب... نحن لا نعرف لم قتل الولد أمه على وجه التحديد. وهل والده حيا أم ميتا.. الا يحتمل أن تكون المأساة بعيدة عن الدين وقضية الوطن... ثم ابتسم للأم مردفا.. أظنك مسرورة لأن ابنك يتكلم بعقل يفوق سنه بكثير كأنه ابن الثلاثين،

وانتقل بعد ذلك الى حديث عام حول الموقف الراهن وما به من دقة وخطورة وانفض الجمع وخلت الأم بنفسها متنفسة الصعداء موقنة أن أولادها لايربطها بهم غير اسم أبيهم أما حب البنوة الأصيل الذي يدفعهم للتضحية في سبيلها فلا وجود له وشعرت، بمزيد من الكراهية لهم وأسفت لاضطرارها مرغمة على أن ترعاهم ووجدت نفسها مندفعة بعد أن فكرت مليا في ابنها الكبير الى الاتصال تليفونيا بمكتب التطوع وافهمتهم أن ولدها لم يتم الثامنة عشرة وقد زور في طلب التطوع بتقديم سنه.

فلما ذهب الولد ليتسلم شهادة التطوع للعمل بمقتضاها مع الفدائيين شكره رئيس المكتب على حماسته ووطنيته واخلاصه لعروبته وغفر له جرأته على تزويره لرغبته في الدفاع عن وطنه... ولم يكد الولد يفاجأ بالرفض وتأجيل قبوله ريثما يتم السن القانوني على الأقل حتى جن جنونه إذ كان بالكفاح مفتونا وبالجهادمولعا منذصغره بتأثير والده وتوجيهه وبث روح الوطنية في نفسه منذ الصغر بجانب تعاليم الثورة

التي تسللت إلى نفسه في سحر عجيب و لم يسعه إلا أن يعود الى بيته ثائرا ناقما على سنه الصغير الذي حال دون اللحاق بركب الفدائيين و تساءل؟!

و لكن من الذي أتصل بالمكتب ليخبرهم بتزويري

وقاطعه شقيقه:

لابد أن يكون أحد المتصلين بإسرائيل لكى يقلل من عدد الفدائيين...

وعلق الأخ الكبير...

يحتمل هذا وعلى كل حال لن أسكت... سوف أتحرى لاعرف من الذي أبلغ المكتب...

وتخرج الأم من صمتها لتقول له...

ولماذا تشغل نفسك بأمور تافهة ودراستك الآن أحق بوقتك كله...

فقاطعها الولد وهو يبتسم في غيظ...

أن العالم يسير اليوم وفق سياسة الجواسيس لا سياسة العدالة... لن أهدأ حتى انتقم ممن بلغ المكتب ليحول بيني وبين خدمة وطني...

وهنا فقدت قدرتها على ضبط أعصابها فصاحت في غير وعي...

أسكت أيها المجنون... أتريد أن تقتل وأنت ولدي الكبير...

فصاح الولد...

سأنتقم لوطني وعروبتي وسأثبت للمغرورين الادعياء أن في قلب أصغر عربي من الشجاعة مايكفي لتحطيم أقوى صهيوني أو استعماري.

فعادت تصيح بصوت يحمل حرارة أنفاسها المغيظه...

أسكت أيها الابله المغرور... أنسيت أن النصر أبدا للقوة والذهب... ثق ياولدي بأن النصر أبداً للمدفع والصاروخ...

فصاح الولد بصوت الثائر المتحمس.

يصح هذا لو تخلى الله عنا ولكن الله معنا بجانب وحدة العرب يا أماه أن بشائر النصر تطالعنا مع الوحدة التي يعززها قوة الإيمان وصدق العزيمة وصلابة الوحدة العربية و الحمد لله وقد أصبحنا أقوياء لأننا نبني الحياة الشريفة وهم الضعفاء لأنهم يحاولون امتهان الشرف واغتصاب الأرض الآمنه...

وبصوت اليقين استطرد...

لاتنسي يا أماه أن الله مع الإيمان والحق أبدا و من كان الله معه فالنصر حليفه حتما ولو تحولت الدنيا كلها إلى صواريخ

يساندها الذهب و الشيطان فنهايتها حتما الخذلان... لقد رأيت البارحة يهوديا يجلس بجواري في الاتوبيس وبريق الدماء يطل من عينيه... تمنيت لو أقتله... ولكن رجلا أفهمني أنه في حمايتنا لأنه مصرى الجنسية.

وخافت الأم أن يقوى العناد شكيمته... فتمالكت نفسها و تكلفت الشفقة والحنان عليه قائلة "

ياحبيبي... تريث وفكر

ثم سحبته في رفق وهواده وأجلسته بجوارها في لطف وعطف قائلة:

ياحبيبي... ماذنب يهود مصر؟ أنهم أبناء وطننا.. أنهم اخوتنا..

قال وقد تأثر بها،

هذا صحيح إذا لم يعملوا في الخفاء لمساعدة إسرائيل، وهل تظنيني أقتل غير الخائن الذي يخون الوطن سرا ليساعد صهيون، أما المؤمن المخلص للعرب حقاً لا شأن لي به لن أكون مثل صهيون جائراً وسفاحا للأبرياء...

ونظرت إليه الأم في التياع و مرارة وأطرقت لتخفي ما ارتسم على وجهها من ظلال مشاعرها الكمينة مغالبة عواطفها متكلفة بسمة قائلة وهي تربت على خده...

وكيف تعرف الخائن يا ولدي؟ إنك لا تستطيع أن تعرفه حتى ولو كان من أبناء الوطن العربي إلا إذا عاشرته و سايرته وخبرت تصرفاته...

فسرح الولد ببصره بعيداً ثم رد بصره كأن خاطراً نزل عليه في التو أسعفه ليجيب عليه قائلا:

صحيح يا أماه... ذلك من الصعوبة بمكان... لكن لا ننسى أن الخيانة لابد أن تتكشف مهما اتقن الخائن حبك التستر عليها لأن الله لا يدع الشر يسير حتى النهاية

وهنا ترامي إلى مسمع الوالد موجز النقاش الذي حدث بين الأم وولدها إذ كان يقوم بكتابة تقرير خاص بعمله في غرفته الخاصة فهرع إليها ليضع حداً لهذا النقاش وأقبل على إبنه يقبله قائلا:

أنا سعيد بوطنيتك يا ولدي... ولكن مع أمك الحق... فإن يهود مصر اخوان وطن واحد و جنس واحد... وللوطن حرمه وللجنس حرمة كحرمة الدين... فماء النيل هنا جعل من دماء جميع الأديان وحدة كاملة مكتملة غير قابلة للتفرقة. فاطمئن من هذه الناحية وثق بأن الدولة ساهرة على استكشاف ما يجول بالنفوس الخائنة بجانب اتخاذ جميع الإجراءات التي تضمن وقاية الوطن وسلامته في الداخل والخارج... فاطمئن من هذه الناحية وفكر دائما في محاربة المستعمر ومن يجور عليك، أياً كان دينه وجنسه. و حسبك ذلك والله يرعاك.

ونظر إليه الولد نظرة قلق وهز كتفيه ومط شفتيه دون أن ينبس ببنت شفة ولمح الوالد التماع الشك فيما يقول يبدو في عيني ولده فأردف وهو يربت على كتفه في حنان

لم يبق على الامتحان غير أيام معدودات ولا أحسبك إلا على استعداد كامل له... حتى إذا حان الوقت لكي تقوم بدورك في الكفاح شاركت بعلمك ووجدانك وروحك وإيمانك...

ولزم الولد الصمت وقام من مجلسه... ولكن الوالد استوقفه قائلا...

لم تقل لي ماذا أنت فاعل ياولدي...

فقال الولد في هدوء...

كل خير يا أبي اطمئن...

وعاد الولد إلى غرفته ليستذكر دروسه ولكن سؤال برز في خاطره... أيمكن ليهودي أن يؤثر المسلم على اليهودي وكلاهما جار له اذا تشاجرا؟ وصعب عليه تركيز ذهنه على دروسه وهذا السؤال يراود خاطره... ودون وعي ترك الكتاب وهرع إلى أبيه الذي ذهب ليجالس زوجته راجيا منها ألا تخمد حماسة الوطنية في روح أبنائها بل عليها أن تقويها دون أن تترك اللجام يفلت من يدها لكيلا يحجموا... وفاجأ الولد والده متسائلا

لو اختصم رجلان أحدهما يهودى والآخر عربي أيهما يكون أولى بدفاعك...

فقال الوالد...

صاحب الحق

وغالطت الأم نفسها لترضى ولدها ولتواري مشاعرها أمام الوالد قائلة:

مع العربي طبعا لأننا عرب

فنظر اليها الوالد لتسكت وقال:

كن دائما مع الحق ياولدى. هكذا ينص دستور الله... وتستطيع أن تدرك صحة ذلك من آثار العدوان لقد وقف بجانب العرب ضد أمريكا دول تدين بالمسيحية وزعماء يدينون بدين نيكسون ولم يقف الدين حائلا بينهم وبين نصرة الحق ومناصرته

فقاطعه الولد.

هذا صحيح ولكننا لم نسمع يهوديا في دولة من دول العالم أستنكر عدوان صهيون وأيد العرب...

قال الوالد

أنت لا تواظب على قراءة الصحف... هناك يهود أحرار ومنهم خامات بعض الدول ما دام الإنسان حراً نزيها لا يمكن أن ينافق من أجل مصلحة نفسه أو مصلحة وطنه

وارتاحت الأم لدفاع زوجها فعلقت قائلة:

فعلا... هناك يهود كثيرون يؤيدون العرب ويستنكرون عدوان صهيون... فلا تشغل نفسك بالسياسة حتى تؤدي امتحانك والله يرعاك ويرعى اخوتك وأمثالكم...

فتنحى الولد عنها وهو يخاطب نفسه...

الشيء الوحيد الذي لا أصدقه هو اخلاص اليهود للعرب اخلاصاً مطلقاً ثم كيف يطلبون مني ألا أشغل نفسي بالسياسة وهل أنا الا نبضة من نبضات أحداث اليوم؟

شعرت الأم أن سياسة انتقاد تصرفات أولادها أقصتهم عنها ونفرتهم منها فغيرت سياستها واستعملت أسلوبا جديدا في توجيه أولادها توجيها يدنيهم منها... ولو إلى حين... و بدأت تشعرهم بحنانها ورعايتها وعطفها لتتعرف على خفايا تصرفاتهم ونوايا أعمالهم واتجاهات تفكيرهم فلما استراحت لاطمئنانهم اليها راحت تقص عليهم بعض أقاصيص اخترعتها وفق ما ترمي اليه لتبث في نفوسهم مراعات حق المواطنين من اليهود والشفقة عليهم وحمايتهم من جور السوقة وسوء تصرف أولاد الشوارع من المشردين وقد أثرت عليهم فعلا وخفت نزعة الانتقام من كل يهودي يمر بطريقهم أو يلقاهم في أي مكان... على أنها كانت رغم نجاحها في المهام التي تقوم بها سراً لصالح إسرائيل كانت تضيق بحياتها رويداً رويداً وقلما استطاعت أن تنفس عما يجول بخاطرها إلا إذا سمح الحديث الذي يجرى بينها وبين زوجها أو أولادها بمقدار... وها هي تنتهز فرصة التعبير عن خواطرها في حذر على أثر مصارحة ابنها لها بأنه ينتهز فرصة بلوغ سن الرشد بفروغ

الصبر ليثأر من صهيون وبكل من يساندهم حتى ولو كان من أبناء دينه... ودون تفكير وجدت نفسها تقول له...

أنك تهذي هذيان المحموم بحمى فورة الشباب الثائر وكأنك طفل... وغدا عندما ينضج عقلك ويكبر قلبك وتدرك أن هناك قوة أقوى منك مهما بلغت من عمق التفكير ورهافة الحس وتقدير المسئولية... قوة الدم المنبثق من القوة الإلهية اللامدركة... أنك تظن الآن أنك لن تتردد في قتل كل من يساند صهيون ولو كان من أبناء العرب. قد يمكن أن تقتل كل من لا ينتسب للعرب بصلة إذا ناصروا اسرائيل أما أن تقتل عربياً فلا أظن ياولدي لأن دم الدين أو صلة الجنس لايمكن أن يتحول إلى دم أو جنس آخر... الدين أو الجنس الذي يولد به الإنسان لا يمكن أن يتحول إلى عداوه... وعندما تكبر وتنضج ستدرك صحة ما أقول...

وتركته مكانه لكيلا تفضحها مشاعرها وخلت بنفسها في غرفتها تاركة دموعها تنهمر في التياع وألم لا يعلمه إلا الله من فرط حيرتها وفزعها. فلا هي قادرة على الهرب لتنضم إلى جيش إسرائيل مضحية بحياتها وعائلتها ومستقبلها ولاهي قادرة على أن تمضي حياتها تلك لايربطها بها غير النفاق والمغالطة ومقاومة طبيعتها و ميولها. لقد حاولت في مستهل حياتها الزوجية أن تستجيب لتوجيه زوجها لتعتنق الدين الإسلامي فصعب عليها ذلك إذ لم تستطع أن تحول الدم اليهودي الذي يسرى في شرايينها إلى دم اسلامي ليس له نواة في تكوينها.. ولقد استطاعت أن

تلبس مسوح الدين الإسلامي و تتكلم بلسانه و تعمل بتوجيه زوجها المسلم ترضيه له لكنها لم تستطع مطلقا أن تقضى على عقيدتها...

إذ كل ما تشعر به وتدركه تماما أنها يهودية ولا بد أن تضحي في سبيل إسرائيل رغم إيمانها بأن زوجها ولي نعمتها ورب سعادتها كما أنها لا تكره أولادها كرها يدفعها للتخلص منهم بأي وسيلة ومع ذلك فلم يستطع زوجها الذي يحبها حبا لا نهاية له وأولادها الذين يحبونها أيضا أن يميتوا في أعماقها البذرة التي غرسها والدها اليهودي في أعماقها. ولم يستطع الزوج بإخلاصه الوفير لها وتفانيه في حبها أن ينزع من أعماق أعماقها نطفة اليهودي التي كونتها ليكتسح كل أثر للدين اليهودي.

لقد ظن الزوج بعد أن غمرها بحبه وجاهه أنها أحبته حقا واخلصت لدينه وعقيدته وأنها لا تتردد مطلقا في التضحية من أجله و من أجل الوطن العربي لما تبديه له من مشاعر الحب و التفاني محاولة أن تخفي في مهارة سيطرة عقيدة اليهود عليها و إيثارها كل ما يتصل بدينها مغالبه تأثيره القوي القادر على أن يحول النار إلى نور و ليس عليها لها ذنب في، هذا الجحود وذاك النكران لأنها نبضة من نبضات دين عاق جحود لا يتأثر بخفقات الحق واليقين.

وهكذا بات راسخاً في ذهن الزوج أنها سليمة النيه نقية الضمير لا يشوب اعتناقها الإسلام أية شائبة وشجعه على رسوخ هذا اليقين اصطناعها التعلق به وبدينه عن اقتناع و إظهارها في غير مكابرة أو تردد إيمانها المطلق بدينه ووطنه ولم يخامر الزوج أي شك في صحة اعتناقها لاعتقاده أن كثيراً من كبار المستشرقين ورجال الدين من

اليهود القدامي قد اعتنقوا الدين الإسلامي عن يقين ثابت و وتفقهوا في دراسته و كتبوا أبحاثا عنه تفوق بكثير بعض ما كتبه علماء الدين الإسلامي وفاته تصور الفارق بين عقلية زوجته وضآلة ثقافتها وسطحية تفكيرها وبين هؤلاء الذين نبغوا في الدراسات الإسلامية بعد بحث و دراسة وتمحيص ومقارنة بين الأديان الثلاث، لقد انقطعوا لدراساتهم كما ينقطع المتعبد في صومعته للتقرب إلى الله راغبا أن يتعرف على الطريق الذي يوصله إلى تعرف ما يجهل.

لذلك كان من الصعب عليها أن تفهم حقيقة هذا الدين الذي اعتنقته لترضي زوجها كي تحظى بتحقيق كل ما تشتهيه من مطالب الحياة المادية على ضوء هذه الترضية ولو حكم عقله بعيدا عن العاطفة لأدرك أنه من المستحيل لمثلها أن تعادي دينا ولدت على ضوء شموعه ورضعت من ثدي أمها خلاصته واستقت من ينبوعه عصارة نصوصه.. ولقنها والدها مبادئه ومراميه و تنقي و من العسير او تنقي سريرة أمراه انتشلها القدر من بؤرة الضياع إلى أمراة تدرك بعقل واعي ضلال مضللي اليهود و محولي قطوف شجرة موسى عليه السلام النابتة في أرض السلام إلى أشواك سامة مهلكة؟ كيف تصفي نفسها من ادران الافك والبهتان بعد أن لقحت اسرائيل بمصل أباطيلها المنتشرة في أنحاء العالم النفوس الصغيرة الوليدة من أبنائهم؟! كيف تتطهر ما علق بذهنها من تعاليم شيطان اسرائيل الجائر على صدور الأبرياء من اليهود في كل مكان. ؟!

كيف تستطيع أن تتفهم كل غامض و تدرك كنه ذلك الدين الذي اعتنقته؟ ربما كان في وسع زوجها أن يعينها على ذلك مع كثير من

الاهتمام الفائق دون أن يعتمد على مظهر اعتناقها لدينه بل يتوخى الحقيقة ليخبر مبلغ ايمانها وحقيقة حبها لدينها أو دينه تاركا لها حرية الخيار اذ خير لها أن تعيش على دين تؤمن به حقا بدل أن تتظاهر بدين لا تؤمن به ايمانا مطلقا لكي تكون واضحة فيما تقول و تفعل.. وها هي المعركة القائمة بين اسرائيل والعرب أسفرت عن خفا يا مشاعرها الكمينة في اعماقها وعن كراهيتها الأصيلة للعرب و تمنت في تلك اللحظات الحاسمة أن التحرر من زوجها مضحية بجاهها و تعود عاملة في المتجر لتخدم اسرائيل... ولكن كيف وهل تراها تستطيع؟ إن قوة خفية منبثقة من سلطان الطبيعة التي ربطها بحاضر مترف تعودت عليه وأولادها يحاربونها بسهام خفية عن غير عمد.

كانت حبيسة هذه الخواطر حينما ناداها الزوج فهرعت اليه مسرعة حيث كان يجلس إلى مكتبه يطالع صحف المساء بعد أن أمرها الا تسمح لأولاده أو لأي كائن أن يدخل عليه، فلما وقفت بين يديه أبتسم وقال: الآن أستطيع أن استريح قليلاواتحدث اليك إذا شئت مع تناول فنجان من الشاي معك لأجدد نشاطي... فقالت... يبدو أن ما كنت تطالعه

أو تكتبه خطير حتى أنك تخاف على سريته من أولادك ومني كما يبدو ولم يدرك الزوج ما وراء لهجتها من خبث فابتسم في لطف قائلا... الأولاد طائشون لا يقدرون خطورة الأمور ومجرى الحوادث وما تتطلبه السياسية العليا من سرية كاملة لنسترد أرضنا - أما أنت - وربت على خدها في رفق وحب - تقدرين خطورة مثل هذه المواقف وتكتمين السر إذا بدا لك ولو أن ذلك لا يخصك طبعا...

مالك وشئون السياسة المتعبة... ولو تمعن في وجهها لرأي سريرة نفسها في بريق عينيها الذي بدأ ملتمعا و اختفي بسرعة خشية أن يكشف خبيثة نواياها وتناولا الشاي سويا و حاولت أن تغريه بدعاباتها وأحاديثها ليصارحها بما يخفيه و لكنه حرص على ألا يبوح لها بما يشير إلى أسرار عمله متنقلاً بها من حديث إلى حديث.

حتى نام وكان نومه في هذه الليلة عميقاً من فرط جهده الذي كابده طوال النهار. أما هي فلم تنم بل ظلت تفكر في هذا السر الذي أخفاه عنها رغم حبه الشديد لها... لابد أنه سر خطير غاية الخطورة... وفكرت في هذا الشأن طويلا و طال بها التفكير حتى أيقنت من نومه فاطمأنت إلى الفرصة السانحة وسرعان ما أخذت المفاتيح ثم قامت مسرعة إلى مكتبه وفي حذر راحت تبحث في ملف أوراقه بسرعة ودقة و هي تمر بنظرها على كل ورقة موجودة... و لفت نظرها صورة خريطة اسرائيل و قد كتب عليها ما يشير إلى رسم الخطة المزعم تنفيذها، وهالها الأمر وملكها الفزع والخوف والقلق.

... ...

وسرعان ما مر بذهنها عدة خواطر شيطانية وهي تفكر في وسيلة للتخلص من تنفيذ هذه الخطة، أتسرقها لكي تمزقها أو تحرقها...

وراحت تفكر فيما يجب أن تفعله لإنقاذ إسرائيل حتى أوشك الفجر أن يقترب كأن عقرب الساعة يتعجل عن عمد. كيف تنقذ صهيون من هذا الهجوم ولم تجد أمامها من يعينها غير صديقها اليهودي وسرعان ما حركت قرص التليفون ثم راحت تترقب قدومه من النافذة وفي

سرعة حضر اليهودي في تاكسي ثم ترجل مارا أمام المنزل في اللحظة التي رمت فيها قصاصات من الورق كأنها قمامة مهملة وكان الوقت مبكراً ولم يشغل الشارع بالمارة بعد، غير من اضطرتهم الظروف للخروج مبكرين لأمر ما وفي سرعة وحذر التقط الخريطة الملقاة وفي لمح البصر اختفي، وبعد أن أطمأنت إلى اختفائه هرعت إلى المكتب وأشعلت النار في السجاد والورق الموجود على المكتب بعد أن رمت عقب سيجار وبعد أن تأكدت من وصول اللهب إلى المكتب تسللت خفية في حرص واستلقت بجانب زوجها النائم... ثم اصطنعت اليقظة على رائحة الدخان الذي ملأ جنبات الطابق كله وراحت تهز زوجها في ذعر صارخ حتى تنبه وقام من نومه مذعوراً يجري صوب المكتب وهو يصرخ... أوراقي... أوراقي... أوراقي... وعلا صراخ الأولاد واستغاثة الزوجة والخدم بينما الزوج يتنقل من مكان إلى مكان في هلع جنونية وهو يحاول أن يجتاز الدخان لينقذ أوراقه ولكن لهب المكتب الكثيف أنذره باحتراق كل شيء فيه... وارتمى الزوج على مقعد بعيد لم يمتد إليه اللهب بعد، في يأس وكاد يفقد وعيه والزوجة تصطنع الألم مشاركة إياه الذعر حانية عليه مترفقة متكلفة الحزن والأسى من أجله.

وحضر رجال المطافئ والإسعاف وأطفئت النيران وأسفر التحقيق عن إلقاء عقب السيجار على السجاد دون أن يطفأ ولولاانتباه الزوجة لا حترق المنزل كله ومن فيه... هكذا ظن الزوج الذي حمد الله على يقظة زوجته ونجاة أولاده. وكاد كل من بالمنزل يهدأ هدوء الدخان المتصاعد حتى آن موعد خروج الزوج لعمله فاضطر للخروج وعلى أثر خروج الأولاد الأبرياء خرجت هي بدورها لتذهب إلى صديقها

اليهودي لكي تعاونا إنقاذ صهيون من هجوم العرب ولم تكد تلقاه حتى وجدته يتهيأ للسفر إلى إسرائيل عن طريق الصحراء كي يقابل زميلا له يعمل في جمرك القنطرة منتحلا شخصية مزيفة باسم الشيخ مصطفى و مهنته – حمال – ولا يعلم أحد حقيقته غير قلة من اليهود المهتمين بحركة الجاسوسية وعرضت عليه أن ترافقه فأبى لتقوم هي بمهمة أخرى وهي أن تشير إلى الطائرات الإسرائيلية بإشارات سرية إلى مكان ما... ولكنه نصحها بأخذ الحيطة والحذر وأن تركز فكرها على معاونة إسرائيل مادياً وسافر معتمداً عليها راجياً أن يعود ويجد معها مبلغاً لا يستهان به من جمع التبرعات التي كانت تجمعها باسم مساعدة العرب وإذا اضطرته ظروف قاهرة على عدم العودة فعليها أن تسافر و تتصل بالشيخ مصطفى في القنطرة. ولما عادت إلى بيتها شعرت بعبء المهمة التي أخذت على عاتقها أن تحملها وزاد العبء اعتماد رفيقها عليها في الاتصال بالطائرات عن طريق اللاسلكي الذي سلمه إليها وهو عبارة عن ساعة تلبسها في معصمها. ومرت بعض أيام جمعت خلالها مبلغاً كبيراً من المال والمصاغ بدعوى مساعدة اللاجئين وعائلات مشوهي الحرب وخلال تلك المدة اتصلت بصديقها اليهودي فلم تجده وازداد قلقها لسوء الأخبار ووقوف العالم كله لمناصرة العرب وأخيرا اعتزمت السفر إلى القنطرة لتسلم المبلغ إلى اليهودي المدعو الشيخ مصطفى و لكي تطمئن على صديقها اليهودي من ناحية وتلمس حقيقة الموقف عن كثب إذ الإذاعات التي تسمعها من القاهرة واسرائيل متناقضة تبعث القلق آنا والطمأنينة أحيانا وصح عزمها على السفر مهما كلفها الأمر وفكرت في عذر وجيه تتيح لها هذا السفر... وسرعان ما تذكرت أسرة صديقة انتقلت من زمن إلى العريش وكان الود بينهما قوياً متينا ولم تمض أيام حتى استطاعت بحيلتها ودهائها أن تقنع

زوجها بضرورة سفرها لعيادة صديقتها المريضة وفي الوقت نفسه تستجم يوما على الأقل. أنها تشعر بهبوط منذ حادث الحريق ولكي تمعن في حيلتها طلبت منه مرافقتها وهي على يقين من أنه لن يستجيب لطلبها لكثرة شواغله.

وتم لها ما أرادت وسافرت في اليوم التالي إلى القنطرة واستطاعت في غير عناء أن تتعرف على اليهودي الشيخ مصطفى وفق أوصاف صديقها الذي أدلى بها إليها وفي حذر وحيطة تفاهمت معه ولم تمض لحظات حتى اختفيا عن الأنظار بعيداً عن الموجودين في الجمرك وعرفت فيما عرفت أن صديقها ذهب في مهمة سرية إلى إسرائيل بعد أن ارتدى زي أحد شهداء الجنود الفلسطينيين وعرف كيف يجتاز طريقه لإجادته اللغة العربية كأحد أبنائها حيث كان يقيم في القاهرة قبل العدوان مع إجادته اللغة العبرية التي تساعده على اجتياز خطوط العدو..

وعادت بعد أن سلمته كل ما جمعته من أموال وحلى وما أخذته من زوجها بديلا لما افتقدته في الحريق كما أدعت ذلك بجانب ما أدخرته من مصاريف البيت ولم يستطع أحد العاملين في الجمرك أو المارة أو المسافرين اكتشاف شخصية اليهودي الشيخ مصطفى لاجادته لهجة شيوخ المسلمين الأتقياء من عرب البدو و إطالة لحيته مع التسبيح مردداً الأوراد مصلياً على النبي(صلعم) كأنه بعيداً عن مظاهر الدنيا موهما الموظفين والعاملين والمترددين على الجمرك بأن النقود التي يتقاضاها أجر حمولته يتبرع بها لفقراء العرب المحتاجين وبالأسلوب المعروف بين أعضاء جمعية الجاسوسية أتصل بأحد زملائه الذي يتردد

عليه من حين إلى حين وفي جنح الظلام بعيداً عن الناس تسلم منه النقود وعن طريق جهاز الارسال الذي يربطه بأعضاء الشبكة إتصل تليفونيا بزميل له يعمل بدوره على خطوط الهدنة كبائع متجول اتفق معه على أن ينتظره في مكان ما... وركب الجاسوس سيار ته حيث كان ينتحل شخصية تاجر من تجار غزة تحت اسم عربي مستعار أيضا وفي طريقه صدمته سيارة جيش مصري عن غير عمد.. وحمل الجاسوس فاقد الوعي إلى المستشفى العسكري التابع للجيش المصري حيث كان على مقربة منها وعندما رفع رجل الإسعاف ملابسه للكشف عن آثار الصدمة و جد حزاما ملفوفاً حول وسطه به جيوب حيكت لتخفي النقود في دقة وبراعة وقد وضع بهذه الجيوب مبالغ كبيرة من المال مع ساعة ذهبية ثمينة نقش خلفها حرفي اسم يدل على أنه من رجال مصر القدامى البارزين ومعها ورقة كتب عليها هذه النقود وتلك الساعة من الزميلة S. A كما وجد في لفافة أخرى بتاريخ آخر مبلغا من المال مع بعض الحلى وقد أشير في الورقة المرفقة بها إلى اسم الزميلة السابقة.

وسلم رجال الاسعاف النقود والساعة والسوار إلى الجهات المختصة مع الورقة التي وجدت معه، وبعد أن استفاق الرجل وواجهته الجهات المختصة بما وجد معه عند التحقيق أدعي أنه عثر على الحزام ملقى على الأرض عندما توقفت العربة في طريق الصحراء لعطل أصابها فجأه وقد كان في نيته أن يسلمه إلى المسئو لين بمجرد وصوله إلى غزة.

ورغم دقة التحقيق فلم تتمكن المباحث من وضع يدها على سر هذه الأشياء لتكتم الجاسوس الشديد وحرصه على إخفاء الحقيقة بمهارة.

وأخيراً اهتدت المباحث بعد البحث وتحري رجال المخابرات إلى معرفة صانع السوار في القاهرة الذي أرشدهم إلى - إلهامي بك - الذي اعترف في صراحة عندما سئل أن السوار سبق أن صاغه خصيصاً لزوجته وقدمه اليها بمناسبة عيد ميلادها وهو يرجح أنه سرق منها مع ما سرق في حادث السرقة التي حدثت منذ شهور أو لعله سرق عندما شبت الحريق في بيته وداهم الفيلا السوقة والخدم أثناء الاستغاثة وقت الحريق... أما المال فلا يعلم عنه شيئاً وان كان يرجح أيضا أنه سرق مع ما سرق لأنه يعلم أن زوجته تجمع التبرعات لأسر الشهداء وعندما سئلت الزوجة وأيقنت أنه لا مخرج من الاعتراف بأن السوار خاص بها وقد اكتشفت سرقته مع حليها ونقود التبرع في حادث السرقة ثم في حادث الحريق ولكنها لم تشأ أن تخبر زوجها لكيلا تزعجه أو تضيف إلى آلامه ألما جديدا.

في هذا الوقت اهتدى رجال المخابرات إلى أن خريطة الهجوم على إسرائيل والتي فشلت لأسباب احتفظ بسريتها وقتذاك سلمت إلى إسرائيل وبعد التحري عرف أن هذه الخريطة يوجد منها صور محدودة عند عدد محدود من المسئولين... وكان لا بد أن يطالب كل منهم بتقديم الصورة الموجودة عنده عند إجراء التحقيق معه للتأكد من وجودها عنده... وكان من الطبيعي أن يحاول كل منهم براءته بتقديم الصورة الموجودة لديه وعندما جاء دور - إلهامي - اعترف بأن الصورة التي لديه احترقت مع ما حرق وقد أثبث ذلك في المحضر الذي حرر في القسم عن الحريق الذي حدث يومئذ.

ولم تأخذ المباحث بصحة هذا الزعم وخصوصا بعد أن ثبت بوجود الساعة الخاصة به الذي كان ورثها عن أبيه – الباشا – ولم يجد دفاعه عندما قال أنه كان يحتفظ بها في درج مكتبه الخاص مع بعض ما ورثه من جواهر ثمينة وخصوصاً بعد أن أعلنت إسرائيل أنها عليمة بسياسة مصر العليا مع جميع الخطط الدفاعية.

وكان لابد أن يدان – إلهامي، رغم ما يؤكد صدقة وصراحته في كل اعترافاته لوجود الخريطة والحلى والساعة والنقود مع رجل لم يشأ أن يدلي بأي تصريح يشير إلى إلهامي وزوجته ولابد أن هناك حلقة مفقودة تربط بين إلهامي وزوجته والشيخ مصطفى واسرائيل.

وكان لابد أن يحاكم إلهامي بدعوي خيانته الوطنية وذلك بكشف أسرار عمله السياسي لزوجته الذي اهتدت المخابرات إلى معرفة حقيقتها ودينها الأصلي اليهودي رغم اعتناقها الإسلام وكان المفروض أن يكون بعيد النظر أمينا على أسرار وطنه وعبثا حاول الدفاع تبرئته وكان لا بد أن يودع السجن ريثما يحكم القضاء ولم يستطع التحقيق أن يثبت جريمة الزوجة لحرص زوجها على عدم تشويه سمعتها أو كرامتها.

وكان من تأثير الصدمة على إلهامي أنه مرض وحول للمستشفي تحت العلاج وتظاهرت الزوجة بالحزن الشديد لما أصاب زوجها وصارحته بأنها ستعمل المستحيل وسوف تبيع كل مالديها و تستدين إن تطلب الأمر لكي تستعين بأكبر المحامين. كما لزم أولاده الهم والأسى خصوصا ولده الكبير الذي يكره إسرائيل وقد ازداد كراهية لهم لما أصاب والده موقناً أن هناك يد خفية تنتمي لإسرائيل لعبت هذا

الدور الخطير ولم يشك قط في نزاهة والده الذي يحب وطنه بقدر كراهيته لأعداء الوطن وبات فكره مشغولا ليكشف عن هذا الشيطان الذي دبر لوالده هذه المكيدة ليزلزل ثقة المسئولين فيه. وإتجه ذهنه إلى مراقبة المترددين على البيت أثناء تغيب والده إذ من المحتمل أن يكون ذلك الخائن منهم ولم تمر بعض أيام من مراقبته كلما مكث في البيت.

وقد عمد ألا يغادره الالماما حيث أصابه من ذهول النفس والشرود الفكري ما لم يستطع معهما تركيز ذهنه على الدراسة و كلما نبهته أمه إلى خطورة تغيبه عن المدرسة أقنعها أنه يستطيع أن يعوض ذلك بعد براءة والده وهو موقن ببراءته فإن رجال الأمن أعمق فكرا مما يتصور الخائن الذي نكل بوالده و سبب له هذه الكارثة ولم يشأ أن يصارحها بما اعتزم عليه وحرص على أن يلاحظ المترددين على البيت وأثناء ذلك لاحظ أن شيخا يتردد على البيت بعد تغيب أبيه و ينال من أمه عطفا ورعاية لم يحظ بهما سواه ولما سأل أمه من يكون هذا الشيخ اجابته بأنه رجل طيب و هو ولي من أولياء الله و هي تستعين به لتعرف حقيقة هذه النكبة التي لحقت بزوجها ولم يشك الولد فيما زعمت وراح يستدرجها ليثبت له صحة دعواها ولم تكن في حاجة إلى التفكير في تلفيق أمثلة تؤكد له حسن نيتها وقدرة هذا الشيخ على تبرئة أبيه.

ومرت الأيام والولد جد مشغول البال بأمر والده حتى حدث أن جاء الشيخ أثناء عودة الولد من الخارج الذي دخل البيت دون أن تشعر به أمه إذ كانت منعزلة في غرفتها تتحدث في التليفون بحذر

واعتكف الولد في غرفته كعادته مهموماً منطويا مفكرا في مآل أبيه ومصيرهم المتعلق بمصيره الذي يبدو ميئوس من برائته ولم يشأ أن يفتح نوافذ غرفته لكيلا تقلقه الخادم بثرثرتها بشأن السؤال عن أبيه لتطمئن عليه... و شعر بوقع أقدام تدخل المسكن بعد أن فتح الباب دون دق الجرس... كأن الزائر على موعد مع من في البيت وفي حرص نظر من بين شطري الباب ورأى الشيخ يسير في حذر كأنه يتسلل خفية لكيلا يراه أحد غير الأم التي استقبلته و فتحت له باب مخدعها وأغلقته عليه ثم أرسلت الخادم إلى الخارج لتقضي لها بعض الحاجات... وتمالك الولد نفسه وساورته خواطر كادت تدفع الدم في رأسه لولا أنه غالب أوهامه ريثما يتأكد واعتلى كرسيا لينظر من وراء الشراعة العليا للباب الذي تفصل بين غرفته وغرفة أمه... ورأى الأم تجلس بجانب الرجل و تسر اليه كلاما لم يتسمعه بالضبط... فاضطر أن يتسلل ليستمع من وراء باب غرفتها حديثهما فلم يتمكن لخفوت صوتها وصوته. وقبل أن يغادر موقفه شعر بفتح الباب فتظاهر وكأنه قادم في التو من الخارج وشعرت الأم به فرفعت صوتها لتسمعه كلامها راجية من الشيخ أن يصلي من أجل زوجها ويدعو الله أن يثبت براءته ويشفيه عاجلا مؤكدة له أنها عند وعدها ولن تتردد في تقديم ما نذرته لأولياء الله الصالحين بعد معافاته وبراءته ولزم الولد الصمت لأنه يعلم رد سؤاله لو سألها أيمكن حقا أن يردهذا الشيخ الضر عن والده؟... وراحت الأيام تمر حاملة في طياتها هموماً وآلاما أكثر من إحتمال الأولاد خصوصاً الولد الكبير الذي سيطر على فؤاده الحزن والأسى لما ألم بوالده وأخذ يغالب أساه ليطمئن أخوته كلما التفوا حوله يسألونه عما تم في قضية الوالد إذ كانت الأم مشغولة عنهم بدعوى انها لم تعد تطيق الحياة بدون زرجها وهي أبدا خارج

البيت لتسعى في سبيل تحقيق براء ته ولاتمكث في البيت إلا إذا كانت على موعد مع الشيخ على أن أطمئنان الولد لأمه بدأ يراوده الشك إذ لاحظ كثرة تردد الشيخ وخلوته بأمه مما دفع الشك في نفس الخادم الذي بدأت ترتاب في سيدتها كلما هيأت لها سبل الخروج لأمر ما كلما حضر الشيخ وبدأت تلوح لسيدها الصغير بكلمات تثير الشك في الأم في الوقت الذي بدأهو فيه أيضا من تلقاء نفسه يرتاب في أمه وخامرته وساوس السوء وطافت بذهنه خواطر جنونية حاول أن يقاومها في بادىء الأمر لإعتقاده أن أمه طاهرة عفه ولا يمكن أن تنزلق من أجل شيخ سوقي متجول لا يجذب منظره نظر أمرأة مهما كانت من السذاجة والبساطة بمكان و تجسم في ذهنه خاطر واحد هو أن هذا الشيخ لص محتال بلبس مسوح الأولياء ليبتز مال أمه عن طريق الشعوذة.

وفجأة نشرت الصحف خبر اكتشاف شبكة جاسوسية من اليهود وقد ألقت القبض على بعض هؤلاء الجواسيس ونشرت صورهم ورأى الولد صورة مصطفى الذي كان يتردد على أمه بدعوى أنه ولي صالح وبلهجة الثائر الساخط واجه أمه بذلك الخبر- ولكنها أنكرته وقالت أنه مجرد تشابه في الإسم والصورة ورغم تأكيد الإبن لصحة الخبر مسفها دعواها إذ لا يمكن التشابه التام بين الإسم والصورة ولكن الأم أصرت على النكران مؤكدة أن احتمال التشا به جائز جداً وضربت عدة أمثلة كثيرة خصوصاً بين التوائم وإمعاناً فيما أدعت أظهرت عدم اهتمامها بهذا الأمر محاولة ان تصرف نظر ابنها عن ذلك إذ حسبه الاهتمام بأمر أبيه.

وعاد الإبن يؤكد صحة ما نشر في الصحف لا نقطاع زيارة الشيخ لهم على أثر نشر خبر اعتقاله مصارحاً أياها بأنه يخشى أن يكون يهودياً وقد احتال بطريقة الدهماء وبوسيلة الجواسيس ليبتز مالها لصالح إسرائيل و لينتزع منها ما يظن أنها عرفته بحكم صلتها بأبيه من أسرار سياسية.

واصطنعت الأم الغضب و أخذت عليه تهوره وظنونه الطائشة مؤكدة له أنها حريصة على أسرار أبيه ومع ذلك فإن والده كان ضنين بأسرار وطنه ولا تذكر أنه أفضى إليها يوماً بأي سر من أسرار الدولة أما هذا الشيخ الذي يسيء الظن به فقد عرفته عن طريق صديقة لها سبق اتهم زوجها في قضية ما و كان هذا الشيخ سبباً في تبرئته وذلك بتلاوة القرآن الكريم مستعيناً بتسليط الجن الصالحين المزودين بمعرفة الخفايا والأسرار وتسوق إليه عدة أقاصيص لتثبت له صحة هذا الزعم والولد مأخوذ بما تسرده ما بين مكذب و مصدق على أنه تذكر حديثاً جري. بينه و بين والده يوما خاصا بذلك وقد أثبت له والده أن الجان لم يعد لهم اتصال بالبشر في هذا الزمن بعد أن ضاقت الأرض بأبا طيل الناس و مر بخاطره الأمثلة التي عزز بها والده رأيه ولذلك لم يجد الولد بد من تكذيب إدعائها مستشهداً تارة بآراء والده وتارة أخرى برأيه معقباً أخيراً قائلا... لا أظن هذا فلو صح ماتقولين لكان في الحياة شيوخ على طراز الشيخ مصطفى لهم القدرة على علاج المرضى وتبرئة المتهم بقراءة التعاويذ و لما اكتظت السجون بالمجرمين والأبرياء أحيانا... لقد كنت قبلا أعتقد أن السجن لا يدخله غير المجرمين أما الآن فقد بت اعتقد أنه من الجائز أيضا أن يدخله الأبرياء كما حدث لأبي... ويطول الجدل في هذا الحديث وكلاهما عاجز عن إقناع الآخر.

وتمر الأيام والولد مشغول البال وهو لا يدري ماذا يفعل ليبرىء والده الذي يؤمن بنزاهته كإيمانه بر به محاولا أن يبث في صدر إخوته هذا الإيمان والأم لاهية عنهم... تخرج كل يوم في ميعاد لا يتغير فإذا سألها الولد أين هي ذاهبة أو من أين هي عائدة؟ احتجت بانها تذهب لعلاج أسنانها متظاهرة بالألم البالغ من أسنانها و كثيراً ما تقول أنها عائدة من عند زوجها بعد أن استصدرت أمراً للسماح لها بزيارته.

وظلت هكذا حتى ذلك اليوم الذي طال فيه تغيبها حتى انتصف الليل فريع أولادها وانزعج كبيرهم وراح يتصل تليفونيا بجميع عيادات أطباء الأسنان فلم يهتد ثم ظن أنها ربما ذهبت لوالده و تمكنت من مضى الليل بجواره و أشد مارو عه أنها لم تذهب إليه منذ أكثر من أسبوع ولأول مرة يواجه كذبها. وبدأ الشك يساوره على صورة أخرى وبات الذهاب إلى طبيب الأسنان مشكوك فيه أيضا واضطر أن يتصل بجميع معارفهم وأقاربهم تلفونيا فلم يهتد بها فلما انبثق الفجر خرج مسرعا ليسأل من لم يتصل بهم تليفونيا فلم يجد لها أثراً. وظل اليقين من براءتها يراوده إذظن فيما ظن أنها ذهبت لتحضر عرس ابنةاحدى صديقاتها أو تجامل في عزاء بعض معارفها لأنها تحرص دائما على المجاملة في جميع المناسبات.

ورغم أنه لم ينم طوال الليل من شدة الأرق والتفكير المضني فقد ظل متماسكاً بقواه مقاوماً الوساوس خشية أن تكون أصيبت بسوء في الطريق لاشتداد الزحام وسيطر عليه هذا الخاطر إلى حد نسي معه ادعائها الذهاب إلى أبيه واندفع يتصل بالمستشفيات والإسعاف ثم ارتدت، طمأنينته من هذه الناحية وظل كذلك تدور به أمواج

الأفكار القاسية ولم يخرجه منها غير صوت بائع الصحف وهو ينادي بصوت صارخ القبض على جواسيس صهيون. عصابة من إسرائيل ينتحلون أسماء العرب.. العثور على قنابل و مفرقعات وأجهزة لاسلكي في منازلهم... واندفع كالمجنون ليشترى الصحيفة و قد ملكته مشاعر مبهمة متناقضة ومر بنظره على الصور المنشورة وزاغ بصره و فغرفاه و أوشك أن يقع على الأرض فاقد الوعي لولا أنه تدارك نفسه ليتحقق من حقيقة الوجه الذي رآه... و نظر في تمعن ولكنه رد بصره موقنا أن في عينه خللا وراح يطالع ما كتب تحت هذه الصورة ليتأكد من سلامة عينه فإذا به يقرأ [جاسوسة صهيون] تمد الجواسيس بالمال وتجمع التبرعات من العرب باسم العرب... وعاد يحلق بعينيه الزائغتين في الصورة ثم تحامل على نفسه ناظراً على طول الشارع البعيد المتصل بالبيت على أمل أن يراها قادمة وكأن غمامة من الخوف حولت الشارع إلى غبش من الضباب لا تتبين فيه الرؤيا وتنتفض أنفاسه كأن شيئا يوشك أن يخنقها... و يجري كالمجنون إلى بيته باحثا عنها علها عادت، متنقلا من غرفة إلى غرفة كأنه يستنجد بصورة والده المعلقة في ذهول يوشك أن يدفعه إلى الجنون ولا يدري أي الظنون هي الصحيحة؟... ويظل كذلك

حتى ينبهه طرقا شديدا على الباب فتهدأ أنفاسه ظنا منه أنها عادت فيسرع وقد لحق به إخوته مهللين وكانوا قد تأخروا في النوم بمناسبة العطلة الأسبوعية... وصاحوا... أبي... أبي... إذ ظنوا أن القادم والدهم وكان شقيقهم حاول أن يخفي عنهم مبيت أمهم الليل خارج البيت.

لكنهم ارتدوا جميعا مذعورين إذ واجهوا رجال المباحث يدخلون بعد أن استأذنوا بكلماتهم التقليدية المألوفة في مثل هذا الموقف.

ويسأل الضابط: أين إلهامي (بك) فيجيب الولد الكبير... أنه مريض في المستشفى ويظن أنهم قادمون لاستئناف التحقيق معه وبصوت ينم عن اليقين الثابت تتخلله نبرة الحزن الكمين. أبي بريء، أنه مخلص أمين لوطنه لا يمكن أن يخونه إنه يفديه بروحه لو تطلب الوطن ذلك... و يكرر الصغار وهم يبكون في حرارة وحرقه... أبي برىء إنه رجل عظيم ويستأذن الضابط بأسلوبه التقليدي أيضا ليفتش المنزل ويؤدي مهمته بمعونة رجال الشرطة وأثناء تفتيشهم محتويات المنزل. وجدوا في دولاب الزوجة الخاص خطاب من صديق لها يخبرها بأن الشيخ مصطفى مضطر للاقامة في القاهرة هذه الأيام للقيام بمهمة لا يستطيع القيام بها سواه و هو ينتظرها في المكان المعروف الساعة التاسعة من مساء الغد و معها ما جمعته من مال.

وهنا يبدو على وجه الضابط مشاعر الارتياح كأنه وضع يده على المفتاح المفقود ويضع الضابط يده على كتف الولد الكبير ليشعره با لطمأنينة لكي يأنس إليه ثم يسأله ما اسم الوالده فيجيب - فاطمة - و ديانتها؟... مسلمة. وما جنسيتها؟ طبعاً مصرية. فيهز الضابط رأسه دهشاً و يمط شفتيه كأنه يرتاب فيما سمع ويسأل عن اسم والدها فيصمت الأولاد إذ لم يخطر ببالهم أن يعرفوا معلومات خاصة عليها كما لم تتحدث هي عنه وكل ما يعرفونه أنها فقدت أبويها وهي طفلة صغيرة وقد رباها عمها ويعقب الولد الكبير بأن والده أخبره يوماً أنه تزوجها أثناء قيامه بعمله في سفارة تركيا ويظهر على وجه الضابط أنه

صدق ذلك إذ وجد صوراً لها مع زوجها في تركيا ولم يمر بخاطره أن هذه الصور التقطت لها أثناء تمضية شهر العسل في تركيا و يبتسم الضابط ليشجع الولد على الاسترسال في الكلام وفي هدوء ورفق يسأله... من الاشخاص الذين يترددون على البيت؟... فيجيب الولد: لا أحد بعد تغيب والدي غير الشيخ مصطفى و تقاطعه البنت الصغيرة أن له لحية كبيرة إذا حضر اختبيء منه لأنه يأكل الأطفال الصغار إذا لم يسمعوا كلام أمهم ويقول الولدالأوسط... أننا نخاف منه لأنه يقدر يسلط الجن علينا يحرقونا... وتقاطعه البنت... صحيح... لقد حرق البيت وكان يريد أن يحرقنا لأننا لم نسمع كلام - ماما - ثم يقاطعها الولد الصغير لا ننا قلنا تسقط صهيون وتعلق البنت هل صحيح الجن تحرقنا إذا قلنا تسقط صهيون و الشيخ مصطفى هو زعيم الجن يسمعوا كلامه وبصوت جاف يقول الولد الكبير... أخواتي يرددوا الكلام مثل الببغاء... لقد قالت والدتي ذلك عندما كانت مريضة ولا تحتمل أي ازعاج وعند ما ثرنا وهتفنا... أدعت ذلك لتخيف أخواني لكيلا يصيحون وهي نائمة متعبة.

هنا لا يتمالك الضابط نفسه فيضحك ثم يسأل الولد الكبير عن المستشفى الذي يقيم فيه الوالد وينصرف مع من معه.

ويقف الولد الكبير مبهوتا خالى الذهن تماماً من حقيقة الموقف ونسي مع ازدحام ذهنه بشتى الخواطر التي صورها هذا الموقف في صور مختلفة تتعلق كلها بأبيه وحده فهو بطل المأساة في حسبانه... نسي صورة المرأة المنشورة في الصحيفة التي تشبه أمه تماماً ومربخاطره فيما مرالورقة التي أخذها الضابط من دولاب والدته واشتد خوفه وهلعه

و تبادر إلى ذهنه انها لابد أن تكون متعلقة بقضية أبيه فقد أفهمته والدته على أنها على اتصال بمن يدافع عن والده... ويرى أن الموقف لا يحتمل التريث ولا بد من الاتصال بأبيه. فحمل معه الصحيفة وذهب مسرعاً إلى المستشفى لمقابلة أبيه ولكن طلبه رفض لأمر لا يدريه و ظل المسكين حبيس الهواجس والخواطر السوداء يمر بخاطره كل مكروه عدا فكرة واحدة... وهي أن أمه يهودية و جاسوسة لصهيون. ومضى النهار وأوشك الليل أن ينصرف والولد قلق حائر لا يدري ماذا يصنع فالام لم تعد من الخارج منذ البارحة وليس في مقدوره أن يحطم الأسوار ليقابل والده وباتت الدنيا في ناظريه جهمة سوداء تنذر بوقوع محنة يشعر بآلامها قبل وقوعها دون أن يدرك حقيقتها بالضبط... و تتلاعب بهم جميعاً خواطر الآلام والأحزان كل منهم حسب تفكيره و مشاعره. فالصغار يتألمون لعدم عودة أمهم ومرض والدهم... والكبير يستبديه الحزن والأسى والحيرة والإرتباك ويدفعه ذلك الإتصال بأصدقاء والده ممن لهم سلطة إلى حد ما للسعي له كي يقابل والده... وتأثر له صديق لوالده فسمي له ولم يلبث حتى اتصل به ليبشره بأنه استصدر تصريحا له بمقابلة أبيه... وكادت فرصة هذا اللقاء تكتسح آلامه وهو في طريقه إلى أبيه... فلما دخل عليه وجده في حالة أعياء شديد وقد ازدادت حالته الصحية سواء كأنه مريض منذ أعوام طوال... وأخبر الولد والده بما حدث بالضبط منذ تغيبت أمه وتفتيش رجال الأمن منزلهم والعثور على ورقة في دولاب الأم وبعد أن إنتهى الولد من سرد الأخبار عرض عليه الصحيفة مشيراً إلى صورة المرأة التي تشبه أمه وبدل أن يلتقط الوالد الصحيفة في لهفة يظل ساكتاً كأنه لم يسمع شيئاً دون أن ينظر إلى الصحيفة ويعود الولد ليسأله هل زارته أمه خلال هذه الفترة؟ فينفي الوالد

زيارتها له ويسأل الولد: إذن أين هي الآن؟ و إزاء إلحاحه بضرورة مصارحته عما يجهل ينظر إليه الوالد بعينين مغرورقتين بالدموع و بصوت تخنقه العبرات يقول... الله يرحمني ويرعاكم يا ولدى... كن أماً وأباً لأخواتك يا ولدي حتى يقضى الله بقضائه فانتفض الولد مذعوراً وغمغم وقد غمرته دموعه قائلا: وقاك الله شر السوء يا أبي... ولكن أين والدتي.

فقال الوالد... الله وحده يعلم... قال الولد في إصرار... لا بد أنك تعلم فخبرني بصراحة... هنا يدخل الحارس ليعلن للولد انتهاء مدة الزيارة ويشعر الولد بأن قلبه ينزف دما وهو يودع والده و تخرسه اللوعة فلا يعلق على والده الذي أوصاه بإخوته وأن يتصل بصديقه فلان إذا احتاج لأي شيء... وخرج الولد والحزن يعتصر كل جوانحه تاركا والده غارقا في بحر أسود من الهم والهواجس القاتلة وبعد أن استرد الوالد وعيه الذي شرد حينا وراء الزوجة الخائنة وحينا وراء الأولاد المساكين لمح الصحيفة التي تركها ولده فمد يده وأصابعه ترتجف كأنها روح مغلفة بالورق تشفق على الرجل ولا تريد أن تمزق آخر ما تبقى في نفسه من خيوط الأمل في براءته.

ومر بنظره على الصحيفة ثم استقر بصره في هلع على صورة المرأة المنشورة وغاب الرجل عن نفسه وقد امتقع وجهه وارتعشت عضلاته وانتفض كأن الحمي سيطرت عليه من قمة رأسه حتى أخمص قدميه وظل المسكين يكابد آلام جسمه وحمى تفكيره حتى حان مغيب الشمس فطلب من حارسه راجيا أن يحضر إليه صحيفة المساء ولم يكد يتسلمها ويتصفحها حتى وقع بصره على صورة المرأة... أنها زوجته...

باللهول وقد كتب تحتها تفصيلات أخرى جاء فيها... إن هذه المرأة ثبت من التحريات أنها كانت يهودية ثم اعتنقت الإسلام لأنها تزوجت برجل مسلم مصري ذا منصب كبير على أنها كانت على صلة دائما باليهود مما يثبت أنها لم تعتنق الإسلام إلا في الظاهر فتستغل زوجها الغني المرموق كما ثبت أنها كانت على صلة بشبكة جواسيس متصلة بصهيون وكانت تجمع التبرعات باسم العرب لتقدمها إلى صهيون عن طريق هذه الشبكة مستغلة مركز زوجها وسلطته لتسهيل مهمتها. ووقع الرجل حبيس دنياه مستعرضا تصرفاتها كلها منذ تزوجته حتى الآن وأدرك أن الخريطة التي ضاعت منه هي التي سرقتها قطعا وهي التي افتعلت الحريق لتخفي معالم جريمتها و بدأ يحلل من جديد خفايا كل تصرف لها و كل حدث، وهاله الفضيحة التي سوف تطارده أينما اتجه إن قدر وثبتت براءته.

وأحس بألم ممض قاتل من فرط الحزن والفجيعة لهذه المصيبة التي نزلت عليه وشعر بأن الألم يوشك أن يقضي عليه وتذكر أنه لم يتناول الدواء وقد نبهته الممرضة بضرورة تناوله إذا اضطرت للتأخر بعض لحظات بالرغم منها وراح يشرب منه دون حساب عن عمد مع علمه أنه يجب أن يأخذ نقطا معدودة لأنه قاتل إن زاد عن العدد المقرر ودفعته مأساته المفجعة إلى شرب الدواء مرة واحدة ولم تمض لحظات حتى صرخ من شدة المغص وقبل أن يسعفه أسلم الروح.

وكان موته إنتحارا عن عمد خشية إعدامه لخيانته الوطنية وراحت الناس تتناقل خبر انتحاره بأساليب مختلفة البعض يبرئه من وصمة الخيانة و البعض يدينه. ونسى الولد كل شيء إلا موت أبيه منتحراً كما

قرر طبيب المستشفى و كانت كارثة انتحاره فوق كارثة الموت نفسه ووقع الأولاد في محنة لا يعرفون لها نهاية... وكان أكثرهم حزناً وهماً الولد الكبير لشدة تعلقه بأبيه. تعلقاً يفوق تعلق الأبناء بآبائهم... ونضج تفكيره إلى حد ما و مرت الأيام وهو مشدود لأحزانه و همومه وكأنه مصلوب فوق عامود من اللهب المحمى يصليه ناراً و عذاباً ولا يدري كيف يتخلص منه... و تحت تأثير عطف أهل أبيه وأصدقائه المقربين بدا يتحامل على آلامه ليفكر في مصيرهم ثم خرج من نفسه وبدأ يفكر في أمه لقد ذهب والده وذهب معه سراً كان يخفيه عليه ولم يشأ أن يصارحه به لامر لا يدريه... وبدأ تفكيره يتجه من جديد إلى البحث عن أمه لمعرفة مقرها أو مصيرها... وراح يواصل من جديد البحث عنها في كل مكان تتردد عليه أو لها صلة بأهله وفيما هو عائد إلى منزله من المدرسة يوماً شعر بعطش شديد اضطره أن يدخل مقهى على ناصية الشارع الذي يقطن فيه وكان والده من رواد هذا المقهى أحياناً وكأنه أراد عن غير عمد أن يتصل مباشرة بالجماهير ليتعرف على خفايا صدورهم و طوايا نفوسهم و مختلف آرائهم في موت أبيه بجانب الحالة الراهنة لاعتقاده أن المقهى تجمع بين مختلف العقليات... وأثناء تناوله الماء ليطفىء عطشه ترامى إلى مسمعه حديث أحد الجالسين على المقهى يقول لرفيقه مسكين هذا الشاب... رحم الله والده كان شهماً كريماً ذهب المسكين ضحية زوجته اليهودية جاسوسة صهيون الخائنة... رحمه الله لقد انتحر مؤثراً الموت على الفضيحة التي ستلازمه أبداً... وقاطعه رفيقه ولم لا يكون مثلها خائناً وهنا احتد الرجل في صدق قائلا: أنا أعرفه تماماً... عرفته منذ ثلاثين عاماً قبل أن يتزوج. اشتغلت في بيت أبيه الباشا سنوات صباي مع والدي... إنه رجل عف شريف... لعنة الله على

الحب الذي يربط الرجل بشيطان في صورة امرأة وعاد مجالسه يقول... وما قصته... فقال الرجل وهو يقف... لو لم أكن مضطراً للذهاب إلى عملي لقصصت عليك قصة تستطيع أن تسميها باسم بطلتها جاسوسة صهيون ويمكن قراءتها في صحف اليوم إنها قصة ينتفع بها كل من تسول له نفسه الزواج من أجنبية فاقرأها في الأهداف. ولم ينتظر الولد ريثما ينتهي الرجل من كلامه وراح يجري كالمجنون ليشتري الأخبار. ولشد ما هاله رؤية صورة والده المتهم بالانتحار وصورة والدته اليهودية جاسوسة صهيون وتحولت أعصابه إلى لهب أوشك أن يحرق مخه وكأن مساً من الجنون أصابه شاعراً بأن صواعق السماء كلها تنزلت فوق رأسه تدفعه في جنون طاغي للانتقام متمنياً أن يقتل كل يهودية تعترض طريقه و تحت تأثير ضرورة حماية إخوته هدأ جموح ثورته مركزاً انتقامه على هدف واحد دفعه إلى المضي في طريقه مستحثاً خطاه كأنه يتعجل اللحظات لكيلا تفوته الفرصة وسرعان ما يصل إلى منزله شاعراً بأن النار المتأججه في صدره لا تطفئها غير برودة دم مسفوك واندفع دون وعي في طريقه إلى منزله ولم يكد يدخله حتى أسرع إلى غرفة أمه وفي ثورة نفسية حادة أشعل النار في أثاثها ومحتوياتها بما فيها من ملابس وأدوات زينتها و كل ما يشير إليها متأملا اللهب صارخاً في انهيار عصبي ليحترق كل شيء لمسته بيديها و مشت عليه بقدميها ثم فتح درج أبيه و الدموع تنهمر وأخذ مسدسه وخرج يعدو في الطريق كأنه على سفر عاجل وذهب لمقابلة المسئولين في المحافظة ليستصدر امراً لمقابلة أمه و تحامل على نفسه ليقاوم نظريات الاحتقار المصوبة إليه ممن تقدم إليهم وادعى أنه يريد أن يسالها عن ورقة ميلاد أخيه الصغير بمناسبة تقديمها إلى المدرسة الذي سيلحق بها و لم يعلق على السخط الذي ترامى إليه في

حنق وغيظ من الحاضرين وأشفق عليه ضابط وهون عليه الموقف وهو يخاطب من حوله... إن والده شهم عظيم ولا ذنب له وسمح له بمقابلتها بعض دقائق. ودخل عليها واستردت أنفاسها واصطنعت الحزن و هي تغمغم ولدي وفي براعة غافل الجندي وفي سرعة خاطفة أفرغ المسدس في رأسها وعندما همت بصوت مخنوق مضطرب تناديه باسمه... صارخة في هلع... أتقتلني يا ولدي... صرخ الولد... كما قتلت أبي و قتلت قبله ألوف الشهداء نحن أبرياء منك أيتها الخائنة... وقدم للمحاكمة وكان أهل والده أقاموا له أكبر المحامين للدفاع عنه ولكنه طلب من المحكمة أن تسمح له بالكلام لأنه يعتقد أن جريمته ثابتة وقد اعترف بها في التو وما زال يؤيد اقترافه لها ولا يظن أنها تحتاج للدفاع وسأل المحكمة؟ كيف تفرق المحكمة بين قاتل بدافع إجرامي تحت سيطرة الشر المطلق و قاتل بدافع وطني ليحمى الوطن من شرور عدوه.

وبصوت حماسة الشاب الفدائي قال:

لقد قتلت هذه المرأه التي اقترفت جنايتين. جناية خداع زوج بريء عف طاهر وسرقته من أجل إسرائيل وخيانة وطننا الغالى والاستيلاء على أموال المواطنين باسم التبرع للعرب وهي تفعل ذلك كله من أجل إسرائيل لقد قتلتها. أعترف. لأنها قتلت زوجاً بريئاً شريفاً، طاهراً مخلصاً لوطنه وعروبته وساهمت في قتل العرب... ألم تكن مساعدتها لصهيون و التجسس من أجلهم مشاركة فعالة في قتل العرب؟!

بودي لو تسمح لي الحكومة قبل أن تحكم على بالإعدام أن كان ذلك يتمشى مع العدالة أن أقتل أولا كل من اشترك في قتل الألوف من العرب... أريد أن أطفيء النار المتأججة في قلبي بدم صهيون البارد...

ولتسمح لي المحكمة أيضا أن أوجه نظر الأمن في بلادنا وفي كل بلد عربي إلى ضرورة مراقبة كل يهودي مهما كان جنسه ووطنه. فإن دم اليهودي لا يمكن أن يتحول إلى دم عربى.

لقد أخطأ أبي بحسن نية يوم تزوج هذه المرأة وها أنذا كفرت عن خطيئته بقتلها. ولتحكم على المحكمة بما تشاء... وحسبي أنني أخذت بثأر وطني وأبي...

وهتف جمهور الحاضرين. إنه بطل. إنه بطل، نحن نطالب ببراءته استنادا لحماية الوطن من شرور جاسوسة صهيون.

وأعلنت الاستراحة المداولة

يتيمة السويس

فجأة أنقض الوحش الكاسر على الجمهورية العربية المتحدة في ليلة ما عرف التاريخ لها مثيلا في تاريخ الغدر والعدوان

وما هي إلا ساعات معدودات حتى أصاب العدوان الآثم السويس إحدى عرائس البحر الساحرة وألحق بها تدميراً هائلا وأطاح بما شيده الزعيم الخالد جمال عبد الناصر صانع حضارة الجمهورية العربية المتحدة في هذا العصر ومن خلص قناة السويس من براثن الأعداء والمستعمرين والمغتصبين و حول خيرات إلى أبنائه

وفي غمضة عين تحولت السويس إلى خراب ودمار واكتست بثوب الفجيعة الكبرى والحزن البالغ و تلاشي أفقها الصافي البديع مكتسيا بضباب النكسة المروع وارتفعت أرواح الشهداء إلى السماء ترفع إلى الله سبحانه مظلمة الانسانية واعتداء القوي الجائر على الضعيف المسالم وامتلأت المستشفيات بالجرحى والمصابين

ورغم ذلك لم يستسلم أبناء الوطن إلى الهزيمة بل تحركت الوطنية و غالبت اليأس والخوف وانتفضت الثورة الكمينة في قلب كل مواطن ولم يكن اليتم وقفا على يتامى المناطق المحتله بل استشعر كل عربي بأن المصاب مصابه و الكارثة حلت بأهله وذويه وأدرك المواطنون بأن الجهاد ليس وقفا على وطن دون وطن و أن الدفاع عن الوطن العربي ليس قاصراً على فئة دون فئه وإنما يتحتم على كل مواطن

شريف أن يدفع ضريبة حياته الشريفة بقدر ما يتطلبه الشرف من تضحية وجهاد ولتكن قيمة هذه الضريبة كما تكون حتى ولو بلغت أرواح الملايين من المواطنين كما أشار بذلك الرئيس الخالد جمال عبد الناصر إذ خير للمواطن الشريف أن يموت حراً شريفا من أن يعيش عبدا ذليلا وتنبه المواطنون وكل عربي مسلم ومسيحي حر في أقطار العالم بفضل توجيه معلم الجيل جمال عبد الناصر إلى أن النفس الشريرة لا يمكن أن تركن للأمن والسلام فهي ساعية أبدا لاثارة الحرب والعدوان لأنها كالديدان لا تعيش إلا في الماء العكر... وتحولت ثورة القواد الأحرار إلى ثورة جماهيرية ازدادت حماستها من قلب كل مواطن وإذا كانت الأمم الطاغية تظن أنه في مقدورها أن تغتصب الأراضي دون محاولة لردعها و استرداد الأرض المغتصبة فبئس الفكر فكرها وبئس المصير مصيرها... إذ بالإيمان والعزم والإرادة والتضامن والوحدة والعمل وفق تعاليم المعلم القائد جمال عبد الناصر تستطيع الأمة بعون الله استرداد الأراضي المحتله حريصة على تقوية جيشها و تدعيم مؤسساتها وتركين منشئاتها وسيكون النصر لها بإذن الله و الخذلان للمعتدين

لم يقل المعلم للقائد فكرة توجيه أو تنبيه إلا وكان لها الأثر الفعال في قلب وعقل كل عربي و كل من يتطلع إلى تحرير وطنه المستعبد في أنحاء العالم و كأن ثورة جمال عبد الناصر فتحت أبواب الحرية المغلقة فحركت كل ساكن و نبهت كل نائم ولم تلبث ثورته حتى اهتدى بنورها كل حر شريف في البلاد العربية و الأفريقية والآسيوية وإذا بحرارة الثورة الحرة الكريمة تسري في شرايين كل قادر على حمل راية الكفاح والنضال لتحرير وطنه، وبعد أن كانت مصر الثائرة بقيادة

رائد ثورتها و باعث عظمتها و مؤسس نهضتها الحديثة. هي المكافحة وحدها في سبيل تحرير الشعوب الكسيرة الجناح اندلعت نار حماسة ثورتها في كثير من البلاد العربية التي طاب لها أن تسير في ركب المعلم القائد مستظلة براية العروبة و كان في مقدمة هذه البلاد الجزائر وليبيا وسوريا والسودان واليمن و كثير من الدول الأفريقية.

ولم تكد الجماهير تسترد أنفاسها بعد النكسة تتأثر حرارة أنفاس الرائد العظيم جمال عبد الناصر حتى اتخذ كل طريقه في سبيل إعلان شأن وطنه و تحرير الأراضي المحتله وفق تعاليم المعلم القائد و بات صوت الزعيم يرن في أذن كل مواطن منبها محفزا للجهاد ولم يكد ينته من إلقاء خطاب تراجعه عن التنحي تأييدا لرغبة شعبه المؤمن به المعتنق لمبادئه... حتى عاد الأمل إلى الجماهير المحتشدة لسماع قراره باستئناف نضاله وكفاحه من أجل تحرير الأرض المحتلة وكان بين الجماهير فتاة حملها الصليب الأحمر مع الجرحى إلى مستشفى المنصورة و كأن صوت الزعيم الخالد اكسيرا لحياتها ومصلا لقح وجدانها بأمل قوي عارم دفعها للتفكير في المشاركة الفعالة للسير في ركب المناضلين الأحرار وكتب الله لها الشفاء إذ لم يكن جرحها خطيراً وغادرت المستشفى وخرجت لأول مرة في الطريق حائرة لا تدري إلى أين تذهب ووقفت على شط النيل أمام المستشفى تتأمل النيل وهو ينساب بهدوء في طريق نهايته ولاحظ رجل خرج من المستشفى مع من تعافوا أنها تتلفت حولها في حيرة وكان رآها من قبل في المستشفى فسألها: هل تبحثين عن أحد ينتظرك؟ فقالت لا... أنا من السويس وقد استشهدت أسرتي كلها عداي ولي خالة تقيم في دمياط ولست أدري كيف أذهب إليها فقال الرجل... أنا من دمياط وكنت

ذهبت إلى السويس لزيارة قريب مريض لي هناك وقد استشهد رحمه الله ويسرني أن أعاونك وأذهب بك إلى خالتك إذا شئت فوافقت واستطاع الرجل أن يستدين مبلغاً من المال من صديق له في المنصورة ورافقته الفتاة حتى وصلا دمياط وكان حديثهما خلال الطريق حول المأساة التي لم يشهد الوطن العربي لها مثيلا في تاريخ الاستعمار والاعتداء وأبدي كل ممن رافقهم من المسافرين استعداده و عزمه على النضال تحت راية جمال عبد الناصر... وكان بيت الرجل يطل على البحر فتركها في ضيافة أسرته التي أعاد إليها الطمأنينة بعد الهلع والفزع الذي استبد بأفرادها لوجوده في السويس أثناء العدوان وخرج ليسأل عن بيت خالتها الأرمل وكان للرجل صبية في مثل سن الفتاة لم تبلغ سن العشرين بعد فصحبتها لتمضية بعض الوقت في رأس البر ريثما يعود الوالد... وهناك عند اللسان وقفت الفتاة يتيمة السويس تتأمل البحر وهو يحتضن النيل في نهايته احتضاناً يفيض حناناً كأن كل قطرة منه تقبل كل قطرة من قطرات النيل ليثبتا ضرورة التضامن والتعاون والتآلف بين القوى والضعيف حرصا على البقاء الأزلى، تبارك الله تعالى الذي جعل لكل شيء رسالة ترتبط برسالة أخرى موصولة بها وكرمز حي للاشتراكية الواقعية الأصيلة.

نيل ينبع من السودان ليمتزج بماء البحر في مصر... ورغم اختلاط مياههما فلم تتأثر عذوبة مياه النيل بأملاح البحر معتزاً كل منهما بأصالته و معبراً عن قدرة الخالق وعظمته

ومضى الوقت حتى أرخى الليل سدوله فكسا العراء ظلاما حجب عن ناظريها مفاتن الأشراق والبهجة وعاودها الإحساس الحزين وغمرها

شعور اليتم والوحدة وسيطر عليها هذا الإحساس الذي لم يلطف من حدته إلا صوت الزعيم القائد الذي ترامى إليها من المذياع وهو يهيب بالجماهير إلى الكفاح والعمل ومر بخاطرها استشهاد أمها وأبيها وأخوتها وخيل إليها أن الله استبقاها لتأخذ بثأرهم إذ كانت في المستشفى تقوم بتمريض المرضى عندما أطاحت القذائف بيتها وحولته بمن فيه إلى حطام وأنقاض... وبعد أن عادت إلى بيت الرجل بمرافقة ابنته أخبرها أن خالتها غادرت دمياط إلى القاهرة منذ شهور وأعطاها عنوان الخالة التي أخذه من الجيران و تطوع بمرافقتها إذا شاءت للذهاب معها إلى القاهرة وإن كان يسره أن تقيم مع أسرته ويمكنه أن يجد لها عملا في مستشفى دمياط ما دامت تجيد فن التمريض و ترك لها التفكير حتى الصباح.

ولم تنم الفتاة و ظلت طوال الليل تفكر وغالبها الأسى وسيطرت عليها الرغبة في الانتقام... وصح عزمها على أن تشترك في المعركة و لكنها لم تشأ أن تصارح أهل البيت... ولم يشأ الرجل أن يوقظها مبكراً إذ كان لابد أن يغادر البيت في الصباح الباكر ليستأنف عمله. الخارجي. وبعد أن تناولت الأفطار استأذنت أهل الدار لتخرج وحدها لتشاهد معالم البلدة... وانصرفت بعد أن تركت للرجل رسالة شاكرة له أريحته ونبله وصارحته بأن لديها خاتماً وحلقاً وسواراً تستطيع أن تستعين بثمنهم على السفر إلى القاهرة والبحث عن خالتها... وتركت البيت دون أن تشعر أهل الدار أنها ذاهبة لغير عودة وفي الطريق سألت عن محل صائغ وبعد أن اهتدت إليه باعت مصاغها واحتفظت بالنقود في منديل ربطته على ذراعها كأنه جريح... وركبت أتوبيس القاهرة... وكان لابد أن يدور الحديث حول المعركة القادمة من أجل تحرير

الوطن وتحدث الجميع في حماسة وإخلاص وثقة بقدرة الجيش والشعب على ضوء قيادة الزعيم البطل جمال عبد الناصر وكانت الفتاة اكثرهم تحمساً واستجابة لدعوة القائد فلما وصلت إلى القاهرة أخذ كل راكب طريقه عدا رجل واحد وقف بالقرب منها كأنه يترقب إلى أين تسير واضطرت الفتاة أن تسأله كيف تذهب إلى مصر الجديدة فأخبرها أنه ذاهب أيضاً إلى مصر الجديدة... وسوف يتصل تليفونيا بمنزله ليرسلوا إليه السيارة بدلا من أن يركب أتوبيس أو تاكسي والمواصلات متعبة للغاية ويشرفه أن يوصلها إلى بيت خالتها... فشكرته الفتاة موقنة أنه رجل شهم نبيل مثل الرجل الذي استضافها في دمياط وتركها في مكانها تنتظره بعض لحظات... ولم يلبث حتى عاد يقود سيارة ملاكي قائلا لها: لقد صرفت السائق إذ أحب أن أقود بنفسي أحيانا... ودلفت بهما السيارة في طريق ثم انحرفت إلى طريق آخر و عندما قالت متى نصل مصر الجديدة... لقد أوشك النهار أن ينصرم.. قال: إن الغارات أفسدت بعض الطرق وتغير نظام المرور... ثم توقف عندما سمع صفير الإنذار... ومر بعض الوقت... ولم يكد يستأنف السير يعد صفارة الأمان... حتى توقف في طريق آخر لغارة جديدة... وراح يلعن صهيون و يسبها والفتاة تستزيده لعنة وسبا و مضى النهار وانقطع التيار الكهربائي واختلطت الأصوات الصاخطة الحائرة الثائرة وارتطمت الجسوم المزدحمة في خضم الظلام الحالك... وعاد بها الخيال إلى مشاهد

العدوان الأليمة فاندفع الدم إلى رأسها وخيل إليها أن مباني القاهرة سوف تنهار فوق رأسها كما انهارت مباني السويس ولن تتحقق أمنيتها في الأخذ بالثأر ورفعت وجهها إلى السماء وهي تطل من نافذة

السيارة تدعو الله أن يطيل عمرها لتسهم في المعركة مستشهدة في ساحتها وعرف الرجل أنها من جرحى السويس واستمع إلى حديثها عن أهوال العدوان الأثم وما لقيه المدنيون الآمنون وما لحق بالارض المحتلة من دمار وخراب كانت تتحدث والرجل يسمع إليها دون تعليق وهي تظن أنه مأخوذ من فرط الألم والأسى وعرجت بهما السيارة في طريق ممتد تحوطه صحراء فسيحة خالية من المساكن ثم اتجه نحو طريق به قليل من الفيلات الحديثة وبدأت تشعر برعدة تتمشى في أوصالها واحساس غامض مخيف يراودها فغالبته وقالت للرجل يبدو أن الظلام الحالك يحول بين تبين الطريق الذي تريده. فابتسم الرجل في خبث وقال بلهجة لم تألفها زادتها خوفاً واضطراباً وشكاً:: أنت وحيدة وأنا وحيد فما رأيك لو تزوجنا.. اسمي محمد بركات أعمل مهندساً وأقيم مع أمي العجوز. وشعرت الفتاة بأنها وقعت فريسة هذا الرجل فارتجفت ولكنها قاومت وحكمت عقلها وقالت في هدوء وقد اغتصبت بسمة نذهب إلى خالتي أولا ثم نتحدث في هذا الأمر... إن خالتي أرمل ولم تنجب أولاداً وهي تحبني ولاشك أنها تحقق كل رغبة فيها سعادتي... فقال الرجل بلهجة حادة لست أبلهاً... نتزوج أولاً ثم نذهب إلى خالتك قالت.. بهذه البساطة أليس أكرم لك أن تطلب يدي من خالتي وأعدك بموافقتي فأنت رجل طيب ولك مركز جدير بعروس أحسن مني... قال إذن نتزوج أولاً وبدأ التصميم والعزم في أسلوبه وفي عينيه واضحاً فأدركت اليتيمة

أنه لامناص من الخضوع لمشيئتة على أي صورة فهزت رأسها علامة الموافقة دون تعقيب و راحت تفكر ماعساها تفعل مستعينة بالله وحده على حمايتها ولاح لها من بعيد ضوء متجر يشير إلى أنه يقال أو

حلواني فخطر لها خاطر دفعها لتمثيل دور الجائعة فقالت في شبه دعابة. هل يسمح خطيبي بشراء طعام لأنني لم آكل منذ الصباح الباكر وقد نجد عند هذا الضوء الذي يبدو هناك طعاما يشتري؟

فارتاح الرجل للهجتها واطمأن لصراحتها وحاول أن يقبلها فامتنعت قائلة أصبر حتى يباركنا الله... قال. تعالى نعقد العقد ثم نتناول الغداء في مطعم عظيم جدير بك و بعرسنا... قالت... لآكل تصبيره أولا إذ اكاد أموت من الجوع وهنا اقتربا من الكشك فقالت إذا كان عنده كازوزه... أنا عطشانه جدا. و ساندوتش بسيط ريثما نأكل وجبة كاملة... فاطمأن واتجه صوب الكشك مسرعا وفي الوقت الذي كان يتحدث فيه مع البائع لاعداد سندوتش وحلوى. نزلت الفتاة من السيارة مسرعة واتجهت صوب جماعة يبدو أنهم من العمال إذ كان على مقربة من الكشك عمارة كبيرة لم يتم بناؤها بعد واستنجدت بهم وشرحت لهم خلاصة أمر الرجل الذي لحق بها ليدعوها في هدوء واطمئنان كأنه لم يقترف إثما. ورفضت الفتاة أن تعود معه أو تتناول الطعام الذي كان بين يديه. و عندما هم بجذبها التف حوله الرجال وسرعان ما أخرج من وراء سترته مدفعا رشاشاً وهنا وقع على الأرض جهاز تسجيل على شكل الولاعة وقبل أن يحرك الزناد طوقوه ورموه على الأرض وقيدوه وفتشوه ولشد ما هالهم أنه يحمل بطاقة شخصية باسم محمد بركات مهندس طيار. وقد لصق صورته و بعد التدقيق لوحظ أن الصورة وضعت مكان صورة سابقة... ثم وجد داخل بطانة الجاكيت بطانة أخرى باسم هنري كوهين مخابرات اسرائيل و عليها صورته... ومر الليل وهي لاتدرى كيف مر فقد كانت في شبه إغفاءة حسيه فيها هلع وفيها اطمئنان، فيها قلق وفيها

أمان كل ما تذكره أنها ظلت تحت حراسة العمال الذين أحاطوها بالرعاية والحنان وقدموا إليها الطعام والشراب فلما انبثق نور الفجر مر بهم عربة من عربات الجيش فاستوقفوها و كان بها أحد الضباط ولما عرف بما حدث للفتاة سمح لها بركوب العربة لكي يوصلها إلى قسم مصر الجديده ليتولى توصيلها إلى بيت خالتها و بعد أن استقر بها المقام عند خالتها بعض أيام بدأت الجمهورية في حرب الاستنزاف ضد إسرائيل، وشبت نار الثأر بين جوانح اليتيمة وفكرت طويلا وكثيرا في وسيلة تسهم بها في المقاومة الشعبية ولم تلبث حتى صح عزمها على تنفيذ ما اعتزمت عليه..

... ...

على الجبهة عند منطقة الفدائيين جلس جلال يتحدث إلى رفيقه (سائد) مؤكدا له أن النصر للعرب إن شاء الله بعد الوحدة التي رفع رايتها القائد الخالد جمال عبد الناصر وهذا التضامن الأفريقي الأسيوي مع النماذج والتآلف العربي. و عقب - سائد - بدوره أن الإيمان بالله والثقة المطلقة في تعاليم الموجه جمال كفيلان بتحقيق النصر مادام كل عربي يجاهد في سبيل الله والوطن العربي... وتشعب الحديث...

فتحدث جلال عن نفسه وأنه آثر بعد تخرجه من الجامعة الانضمام إلى الفدائيين بدل العمل في القوات المسلحة إذ يستشعر بلذة بالغة كلما قتل عدواً أو دمر مصنعاً أو أباد كتيبة أوحطم مدرعة أو أي شيء وتحدث سائد عن نفسه، وقال أنه يتيم وحيد وما تبقى من أسرته التي استشهدت في عدوان ٥ يونيو سنة ٦٧ في السويس وتوطدت بينهما علاقة قوية فوق المألوف في العلاقات التي تقوم بين

الجنود على أن سائد كان كثير التفكير في هذه العلاقة مستشعراً براحة نفسية هائلة فيها دفء وحنان لكنه لم يخرج على تفسيرها بغير المشاركة الوجدانية الصادقة في سبيل مصر وإن كان يرجح أحيانا بأنها لون من ألوان الحب أو لعله أدرك أنه أحب - جلال - لمثاليته وصفاء قلبه وصدق وطنيته، وفي أمسية صافية لم يمر بهاغبش المعارك الضارية وكان جلال جد مرهق من مشاركته في عملية العبور الذي وفق فيها مع رفاقه... أراد سائد أن يهون عليه أثر الإرهاق و يلطف من حدة الجهد، نخرج من جو المعركة إلى جو القاهرة حيث كان يهنأ قبل العدوان بأطايب العيش ورفاهية الأسرة وطمأنينة الاقامة، فسأله: أولم تحب يا جلال؟ وكم مرة أحببت؟ ومن هذه المحظوظه؟... وابتسم جلال في وداعة وهو يقول: لم أجد حتى الآن أية فتاة!... إن عروس أحلامي وراء أسوار الاستحالة ياصاحبي ويسكت لحظة و هو يتأمل وجه رفيقه الذي خلع قبعته وابتسم في دعابة مردفا... أتعرف يا سائد لو أنك تركت شعرك يغطي رأسك وعنقك مسدلا إياه وراء ظهرك لكنت حسناء جميلة... إني أتخيلك كلما خلعت غطاء رأسك عذراء قصت شعرها، صدقني وجهك جميل و ملامحك ملامح أنثى ثم يضحك مقهقها أخشى أن تكشف الأيام بعد حين إن الله خلقك أنثى ثم أسبل عليك ستاراً خفياً لتكون في عداد الذكور وقد يهتز هذا الستار بعد حين وتنطلق الأنثى رغم أنفك من أعماقك ويعاود القهقهة في دعابة مردفاً... من يدري... علك بعد حين تصبح أنثى كما حدث للكثير... ولاشك أنك قرأت في الصحف أنباء تحول ذكر إلى أنثى... وأنثى تحولت إلى ذكر إن للطبيعة مفاجئات تطالعنا بها من حين إلى حين... وهنا تنهد - سائد - في مرارة وعقب... أرجو الله أن تفاجئنا بالنصر القريب إن شاء الله بفضل مارسمه لنا قائدنا العظيم

جمال عبد الناصر... ثم ابتسمت واستردت إحساسها الغائب وقالت: هب ذلك حدث يا جلال فقاطعها دون تفكير... كنت أتزوجك في التو... إن عروس أحلامي تشبهك تماما في الخلقة والخلق وأنت أتقبلني زوجا يا سائد... أو ماذا أسميك... وفكر لحظة ثم قال - نصره - إذ سيكون النصر مرافقاً لك بإذن الله... وقال - سائد - و كل جانحة فيه تتمنى لو تحقق هذا الخيال... أقبل بلا تردد يا جلال - لأنني أحبك حباً لم يعرفه تاريخ المحبين فطوقه جلال بذراعيه مقبلا جبينه و هو يقول... ليتك نصره يا صديقي... ليتك... و منذ هذه اللحظة بدأت مشاعر - سائد - تقوي و تشتد و حيرته تعمق و تزداد وكبته لعواطفه يضفي عليه لوناً حزيناً وفي يوم ما استشعر بأن عاطفته نحو جلال - تجتاح إرادته ولم يجد منفذاً للخروج من منطقة مشاعره تلك غير أخذ أجازة طارئة وبعد أن صرح له بالأجازة فلم يعد أمامه طريقاً، للهروب من نفسه غير الذهاب بأي وسيلة إلى الدرب الذي كان يقيم فيه أهله في السويس ليقبل الثري الذي احتضن أشلاء أسرته ولم يكد يصل إلى الدرب حتى التقى به أحد الجيران الذي مد الله في عمره وحفظه من نيران الأعداء و بادره الجار وهو يعانقه ويقبله بدموعه... محمد... محمد... حمداً لله على نجاتك... أين أختك - سلوي - لتطمئن عليك... لاشك أن المسكينة تنعاك مع والديها... لقد حملها الصليب إلى المستشفى ولا ندري أين هي... وتمالك - سائد - نفسه وقال في إيجاز شكراً يا أبتاه... إنها عند خالتها في القاهرة... وعاد - سائد - أكثر قلقاً وحيرة واضطراباً وساءل نفسه... أتراه يستطيع كبت حبه الذي تسلل إلى أعماق أعماقه حتى النصر ورفعت سلوى زي سائد و جهها إلى السماء تناجي الله بما في سريرتها دون كلام دامعة العينين خافقة القلب والجوانح واعتزمت أن

تقضى على عاطفتها بالمشاركة في الكفاح الفدائي وعادت إلى كتيبتها باسم سائد كما كان... و بعد ايام جاء ته برقية من خالته في القاهرة تخطره بضرورة حضوره لمرضها الشديد وكان لا بد ان يسافر ورافقه جلال ليحميه من اعتداء العدو أثناء مرورهما في منطقة الخطر... لم تكد تشعر أنها في طريق خالتها حتى عاودها الشعور الحزين العميق الذي انمحى معه كل ما يبعث البسمة والأمل وبدت الحياة بغير والديها و إخوتها جهمة سوداء و تلاشي من خاطرها كل ما يوحي بالأمل والرجاء! لها الله أنى لليتيم أن يفتح قلبه لنور الأمل بعد أن غمره سواد اليأس والحرمان و القنوط.

كيف يهرب من مطاردة أخيلة ما تنزل عليها من محن؟ و كيف تقاوم اعتصار أعصابها كما تصور مستقبلها الغامض المجهول... لقد كان لها آمال حسان. سعيدة بأحلامها الزاهرة وأخيلتها الباسمة... إنها الآن كالغريق في بحر عميق تقذفها الأمواج ذات اليمين تارة وذات الشمال تارة أخرى... وتبين لها بعد أن استقر مقامها عند خالته أن الخالة تمارضت لتدعوها إثر إعلان معركة حامية بين إسرائيل ومصر... لتطمئن عليه... وفجأة انتابته حمى شديدة و كان لابد أن تتصل الخالة العليمة بتنكرها متلبسة زى سائد واسمه بمركز قيادته حريصة على تنفيذ كل ما أشار إليه - سائد - للتبليغ عملا وكلاماً... وحول - سائد - إلى المستشفى العسكرى للعلاج. وكان لا بد أن تنتحل بعض المعاذير لكي تعالج في المنزل خشية أن يتضح أمرها.

وشعر جلال أن الفراغ الذي تركه - سائد - بعد سفره جعل حياته غير مريحة و أن - سائد - كان بالنسبة إليه ملطفاً لأعباء الجهد و

مخففاً لمتاعب المعاناة... واضطر أن يأخذ أجازة ليسأل عنه بعد أن مضت مدة أجازته ولم يحضر وقد طاف بذهنه أن إسرائيل داهمته في الطريق بعد أن تركه... و كان يحتفظ بعنوان خالته إذ قرأه مرة في ورقة وقعت من محفظة - سائد - واستطاع دون عناء أن يصل إلى بيت الخالة إذ كان بنواحي القاهرة خبيراً وأطرق الباب... وعندما فتح... طالعه وجه فتاة جميلة تلف على رأسها إيشارب وترتدي جلباباً أظهر فتنتها إلى حد جذب نظر جلال... وسمر كل في مكانه وقد أخرست المفاجأة كل منهما فلم يدر ماذا يقول... وطال الصمت حتى تنبهت الفتاة على صوت الخالة وهي تقول... مين يا سلوى؟ وقبل أن تتكلم الفتاة... قال جلال... هل الأخ سائد موجود... أنا زميله الفدائي جلال...؟... واضطربت الفتاة... و تلعثمت ثم تمالكت شعورها وغالبت حيرتها وقالت... أيوه يا أفندم موجود تفضل وأفسحت له الطريق إلى غرفة الصالون... قائلة... عن إذنك سوف أخبر - سائد - وغابت عن ناظريه... ونظر جلال يتبعها حيث شدته إليها و نسي - سائد - وراح يفكر... ترى من هذه الحسناء... لقد أخبره سائد أن خالته لم تنجب وقد استشهد كل أخواته أثناء العدوان وبينما هو يفكر فيما عساها أن تكون هذه الحسناء دخل عليه سائد بزيه الفدائي مرحباً معانقاً مقبلاً في شوق بالغ وأخبره أنه تعافى والحمد لله وكان يتأهب للعودة الآن وحمد الله على تشريفة ليقضي معه يوماً في القاهرة إذ لم يزل في إجازته بعض أيام و لكنه كان سيقطعها من أجله هو... و بعد تمضية بعض الوقت طلب منه جلال مرافقته لزيارة أسرته فوافق... وفي منزل جلال... اجتمعت الأسرة حولهما مرحبة مهللة بمقدمهما واستضافت - سائد - مع جلال أيام أجازة - جلال - حيث تشبث به جلال قائلا... إنك

قضيت عند خالتك مدة طويلة... ولقد حاول - جلال - أكثر من مرة أن يسأل سائد... عمن تكون الفتاة التي فتحت له الباب... بل تمنى لو دعاه - سائد - لزيارة خالته في خلال مدة إقامته ليرى الفتاة مرة أخرى ولكن سائد لم يفعل وفي خلال فترة إقامة سائد في منزل جلال... تعلقت أخت جلال بسائد وحرصت على أن تنتحل المعاذير لتتخلف عن محاضرات كلية الطب... لكي تحظى بمجالسة سائد... منتهزة أي فرصة للتحدث إليه بينما كان يحاول سائد - وقد لاحظ إعجابها به - الابتعاد عنها و عدم تمكنها من الانفراد به وقد فسرت هي تصرفه هذا بالحرص الشديد. لكي يكون عند حسن ظن - جلال - به والا يخون صداقته فازدادت تقديراً وحباً له... و مضت الأجازة وذهب سائد بمرافقة جلال لتوديع خالته... ولم تظهر الفتاة... واضطر جلال أن يسأل - سائد - هل خالتك تقيم وحدها...

وفهم سائد ما يرمي إليه بسؤاله فقال: أن لنا قريبة تزورها من حين إلى حين... فقال - جلال - أظن هي التي رأيتها عندكم عندما حضرت لك... فقال - سائد - أجل لقد حضرت لتراني بمناسبة مرضي للاطمئنان على... وخيل لجلال أن بينهما علاقة. فقال: لم تفتح لى قلبك كله يا سائد و نحن نتحدث هناك سألتني عن الحب وفاتني أن أسألك... فضحك سائد وقال: لو سألتك لأجبتك وفتحت لك قلبي... فقال جلال: إذن أنت تحب؟ فأجاب - سائد - ليس إلى الحد الذي تتصوره فقال - جلال - أني أهنئك إنها جديرة بالحب حقا وغمز بعينه، فأحمر وجه - سائد - خجلا. ولم يعقب و غير مجري الحديث قائلا: وهل انتهيت من إعداد حاجياتك قبل الرحيل. فلزم

جلال الصمت إذ كان واجما ساهما مفكراً و كان سائد عليما بما يدور في خلده فعاد يقول: فيم تفكر يا جلال... أتخشى الخطة التي اعتزمتم تنفيذها وقد رجوت أن تؤجل ريثما نعود ليكون لنا شرف تنفيذها وتحظى بتهنئة قائدنا العظيم ورئيسنا المحبوب جمال... وأشهد الله أنني أقسمت باسم الله و حب جمال أن أكون في طليعة العابرين والله معنا و كان المفروض أن يعلق - جلال - على حماسة سائد وهو لايقل عنه حماسة ووطنية وإيمانا بالله و تفانيا في سبيل العروبة و جمال... ودقت الساعة الثامنة فقال سائد: لقد حان الوقت... هيا أحضر حاجياتك وسوف انتظرك هناك على المحطة لأنها قريبة من هنا... فقال جلال... تعال معي لتشجع والدتي وأخوتي فإن رؤياك تخفف من لوعة الفراق، وتمني سائد لو يعفيه من مرافقته لكيلا يدع مجالا لحرجه أثناء وداع الأسرة و خصوصا أخته... وعلى مضض رافقه و حدث ما كان يخشاه فعندما صافحته أخت جلال مودعة نسيت نفسها وظلت قابضة على يده بكلتا يديها وقد دمعت عيناها معبرة بدموعها وخلجات وجهها بعواطفها الجياشة المحتبسة ولو لم يكن بينهما حاجزاً أقامه سائد بحرصه وتمسكه بأمانة الأخوة لتشبثت به وقالت له... أني أحبك فاذكرني واكتب إلى... لقد نطقت لمحاتها بانتفاضاتها التي كشفت عن عاطفتها ولكنها لم تجرأ على الكلام... وظل نظرها عالقا به حتى غاب عن ناظريها في طريقهما إلى المحطة... وقبل أن يتحرك القطار... كانت واقفة تشير بيديها إليه وشقيقها يظن أنها تودعه وعاتبها لمجيئها و ترك والدتها وحدها... ولم يلحظ أنها على أثر نزولهما من البيت ركبت تاكسي لتلحق بهما:

وفي القطار... إنسرح كل منهما بخياله في الطارق الجديد الذي طرق قلبه دون أمل... فالفتاة التي نبهت قلب جلال ليست من نصيبه لأنها حبيبة سائد ولاشك أنها خطيبته و الفتاة التي تعلقت بسائد... هناك حاجز بينهما لا يمكن إجتيازه... أنه لا يستطيع أن يبادلها الحب كما لا يريد أن يفسح لها الطريق لتتعلق به.

... ...

وغمرتهما مسئولية تحركاتهما فنسى كل منهما العواصف والخواطر التي شغلته في القاهرة.

وتمت عملية العبور بمهارة فائقة وتلقى قائد الكتيبة تهنئة القائد بطل الأبطال جمال الذي منح العابرين مع أرق كلمات التشجيع والنياشين الفوز بمناسبة هذا بل كان مجرد زيارة القائد العظيم للجبهة... يكفي لتلقيح الجنود بمصل الكفاح العارم والاستماتة في سبيل تحرير الوطن... مستشعراً كل جندي لمس يد الرئيس وهو يصافحه قوة خفية تسري في شرايين الجندي فتدفعه قدما إلى النضال...

وعلى غير ارتقاب فوجىء جلال بأمر تكليف من القيادة العليا لكي يرحل إلى ليبيا للانضمام إلى هيئة حراسة قاعدة الطيران الأمريكية التي حررها الرئيس الشاب البطل المقدام معمر القذافي وآلت بفضله إلى ليبيا بعد أن ساهمت في العدوان الثلاثي في الاعتداء على الأراضي المحتلة...

ودهش – سائد – لماذا اختير – جلال – من بين الفدائيين إلى المشاركة الفعالة في حراسة قاعدة الطيران…

واضطر أن يسأل – جلال – لماذا وقع الاختيار عليك؟ ولزم جلال الصمت برهة ثم قال… لأني ليبي الجنسية وإن كنت لا استشعر بفارق بين جنسيي كليبي و جنسيتي كمصري… فقال – سائد – عجباً… أن لغتك ولغة أهلك مصرية… فقال جلال… لأننا لجأنا إلى القاهرة من زمن بعيد هروباً من العهد البائد فلما قامت ثورة ليبيا أعلنا تأييدنا لقائدها الثائر معمر القذافي الذي اتخذطريق عبد الناصر طريقاً له… و لقد كان من واجبي أن أشارك في الدفاع عن مصر باعتبارها قلعة العروبة ورافعة لواءها وقائدها قائد كل وطن عربي ثائر يتطلع للحرية ويعمل لتحرير الإنسانية من نير الاستعمار والعبودية.

وشملهما سكون غمر كل منهما بمشاعر لا يعلمها إلا الله… وقال سائد بعد أن حاول السيطرة على مشاعره الملتاعة لفراق زميله… ليتك تحاول أن تأخذني معك للمشاركة في هذه المناسبة السعيدة الخالدة وخصوصاً أن زعيمنا المحبوب سيذهب ليشارك الشعب الليبي فرحته وسعادته و لنثبت للعالم مدى قوة التعاون والتضامن العربي ثم تنفس الصعداء مردفا لو شعر كل عربي بمعنى العروبة الأصيلة وضرورة التعاون العربي لأحرزنا بفضل وحدتنا نصراً مبيناً محققاً فقاطعه جلال… النصر محقق بإذن الله بفضل وحدة مصر ليبيا والسودان و كل بلد يتحد معهم في معركة المصير… وسكت برهة ثم قال… لقد كنت أمني النفس بالزواج من مصرية لألقح الدم المصرى بالدم الليبي فضحك – سائد – وقال… وما يمنعك. انك ذاهب لتعود.

وسوف تكون حياتنا ذهاباً وإياباً في طريق الوحدة العربية ولاحظ – سائد – أن عواطف جلال المكبوتة كست و جهه بشحوب شد وجدانه فصعب عليه وتألم له و قال له... أجاد أنت في رغبتك من الزواج بمصرية... قال – جلال – كل الجد... على شرط أن تشبهك أو تشبه قريبتك التي رأيتها عند خالتك لأنها تشبهك تماماً... قال... إني أقدم قريبتى تلك... هدية لك وأشرق وجه جلال وانتفض كأن نصراً لعروبة باتت بشائره وقال... لا تسخر مني يا سائد... أنها حبيبتك و... فقاطعه أنها أختي فشد جلال على يده في ذهول وهو يقول... و لكنك لم تخبرني من قبل... قال... كنت أظن أنها استشهدت فلما استدعتنى خالتي بدعوى أنها مريضة فاجأتني بها... إذ أنها كانت جريحة فقط وقد حملها الصليب الأحمر إلى المستشفيات وبعد شفاءها ذهبت لخالتها ولم أشأ أن أصارحك بذلك... فنظر إليه – جلال بعينين يفيضان بهجة وأملاً و سروراً وبدت روحه تهفو للمستقبل المشرق بأمل بسام وتعانقا وتبادلا القبلات وقرآ الفاتحة لتكون سلوى زوجة لجلال وقال جلال... سوف أجعل اسمها بعد الزواج نصرة فقال سائد لك ما شئت وطلب – جلال منه أن يأخذا أجازة سويا لكي يذهبا لعقد هذه الخطبة بوجود العروس والخالة وأسرته فوافق سائد وفي طريقهما حاصرتهما كتيبة إسرائيلية وأسرتهما... وفي الأسر استطاع سائد أن اتفق مع جلال على طريقة للهرب فإذا قدر لسائد النجاة فليذهب إلى القاهرة ويقابل الخالة ويهيء الجو للخطبة... حتى إذا لحق به جلال وجد الاستعداد كاملا للتنفيذ... و إذا استطاع جلال أن ينجو بنفسه فليذهب في التو إلى الخالة ويطلب يد سلوى وسوف ترحب به الخالة و تنفذ رغبته في التو

ولا شك أن أخته ستكون سعيدة به فقد أبدت إعجابها به بعد أن قابلته يوم زيارته.

وحاول – سائد – أن ينفذ خطة الهرب قبل الميعاد المحدد المتفق عليه بينهما لكي يذهب قبله إلى خالته. وكتب الله له النجاة فلما ذهب إلى خالته اتفق معها على تنفيذ الخطة التي رسمها و بعد أيام قلائل حضر جلال وسأل الخالة عن سائد فقالت أنه منذ ذهب معك لم يعد فلم يشأ أن يخبرها أنه أسيراً و قال... لاشاي أن قائده لم يصرح له بالأجازة لتغيب كثير من الفدائيين المصابين... فطلب منها يد سلوى فوافقت وكانت سلوى عندها وحدد اليوم التالي لعقد الخطبة بحضور أسرته لأنه مضطر إلى السفر لحضور احتفال ليبيا لتحرير قاعدة الطيران الأمريكية... وكان لابد أن يعود إلى الجبهة في اليوم التالى ليعلن أسر – سائد – ويتأهب للرحيل إلى ليبيا وفي طريق عودته استطاع بعض الإسرائيليين إصابة بعض الأعراب وكان على مقربة منهم فأصابته قذيفة ولكنه استطاع أن يختفي وراء الأدغال والأحراش... ولما تأكد من خلو المكان استطاع أن يزحف رغم النزيف حتى بلغ منطقة آمنة... واستطاعت إحدى الطائرات المصرية أن تنقذه بعد أن كشفت شارة استغاثته وحملته إلى المستشفى... واستطاع بعد جهد أن يكتب إلى خطيبته ليبلغها بأنه تحت العلاج في المستشفى العسكرى بحلمية الزيتون. وخفف من وطأة الخبر المفزع أنها على مقربة منه و يمكن زيارته وفي القطار التقت ألوان مختلفة من الجنسيات المصرية والأجنبية الذين يقيمون في مساكن خط المطرية واستطاعت أن تسترق السمع للهمسات الخافتة التي تدور بين الجالسين بجانبها واسترعي اهتمامها حديث امرأة تقول

لقريبة لها كما يبدو من حديثهما. لقد نصحته كثيراً بالابتعاد عن هذا الطريق الشائك وأفهمته أن مخابرات عبد الناصر ساهره وهي تشبه المغناطيس الذي يجذب الأخبار والأسرار حتى ولو كانت وراء الصحاري والبحار وهو يفسر نصيحتي له وخوفي عليه بخيانتي لإسرائيل وإيثاري المصريين عليهم، وقد وقع في الفخ ولكنه استطاع أن يبرىء نفسه لأنه من رعايا حكومة الجمهورية العربية و لكنه تحت المراقبه و حياتنا في اضطراب ولاتخلو من الفزع لأي طاريء وجففت دموعها بينما قريبتها تلومها على زواجها منه لثروته الطائلة كالفتاة التي تؤثر المال على الكرامة و حاولت أن تدافع عن نفسها بأنه خدعها يوم تزوجها وقدم المأذون وثيقة إشهار إسلامه ثم تبين بعد العدوان أنه يميل لاسرائيل و يتبرع لها في الخفاء و يتجسر لحسابها وقد طلبت منه الطلاق فصارحها بأن الموت أقرب إليها من الطلاق وهو يخفي عنها كل تصرفاته لأنه لا يطمئن إليها و يجتمع بأعوانه خارج بيته ولاتعلم أين يجتمعون ويوم تعرف فلن تتردد مطلقاً في الاتصال بالمسئولين المصريين و لتكن حياتها فداء لوطنها العزيز وهنا وقف القطار على محطة الحلمية فلم تتمكن من معرفة اسم المرأة وزوجها ولكنها اطمأنت إلى صدق وطنية المرأة وهرعت مسرعة إلى المستشفى لتسأل عن جلال فقيل لها أنه تعافى وقد غادر المستشفى في الصباح فاطمأن قلبها و حمدت الله على شفائه وأيقنت أنه ذهب ليطمئن أسرته وسوف يذهب إليها وأسرعت إلى بيتها تنتظره على أحر من الجمر وبينما تطل من النافذة ترقبه من بعيد سمعت أنيناً صادراً من غرفة خالتها ولم تكد تذهب لتتبين مصدر الأنين حتى وجدت خالتها تئن من ألم مفاجيء في صدرها وكان لا بد أن تستدعي الطبيب و بينما هي حانية على خالتها تحاول تخفيف ما ألم بها من إسعافات أقبل - جلال

وخيل اليه أن ما أصاب الخاله بسبب فجيعتها في سائد - فقال لها ليخفف من أساها وعلمت أن سائد هرب من الأسر ولا شك أنه في الطريق إلى هنا. وهنا نظرت اليه الخاله بعينين متكسرتين وقد استشعرت بقرب منيتها و بصوت خفيض متكسر قالت... أنا واثقة، أن سائد لن يعد لقد ذهب بلا رجعة فمال عليها - جلال - حانيا مؤكدا لها أنه سيعود وقد يدخل الآن فجأة فنظرت إليه وهي تبتسم يجب أن تعرف الحقيقة يا ولدي لكيلا تنتظر سائد أو ترثيه... إنه بجانبك،. إنه... سل سلوي تجيبك و لفظت آخر أنفاسها.

قبل أن يرحل رئيسنا المحبوب الخالد جمال عبدالناصر إلى جوار ربه - كتبت هذه القصة بأيام معدودات فمن إيحائه وإلى روحه أهديها وإلى كل قائد يسير في طريقه المر سوم.

جميلة العلايلي

الجميلتان الشريفتان

جميلة العلايلي وشريفة فتحي

شاعر آل البيت الموهوب الأستاذ محمود جبر

في مرسم الفن سحر الفن أهدانا شعر الشريفة رقراقا فروانا
وقلت للفن أي الدولتين لها فقال كلتاهما فنا وتبيانا
فقلت أكرم بها أختاً يتوجها هذا النبوغ الذي يسمو بدنيانا
وفوق هذا جمان من جميلتنا يضفى على الفن إيقانا وإيمانا
وهي التي أبدعت في كل ما كـ صاغت لنا درها نثرا وأوزانا
الروضتان وسحر من خيالهما يضوع عطرا وأنغاما وألحانا

محمود جبر

شاعر آل البيت

رسم الغلاف للفنانة الموهوبة (شريفة فتحي)



الغلاف الأصلي ١٩٧٠